الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى
كلية الآداب واللـغات قسم اللغة والأدب العربي

موضوع المذكرة:

الأبعاد التّداولية في رسالتي ابن زيدون الأندلسي الهزلية والجدية

مـذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطلبة:
- عبد المولى بومنجل
- فاتح جبار

إشراف الدكتور(ة):
- فاطمة الزهراء عطية

أعضاء لجنة المناقشة:

- الدكتور(ة): خديجة بوخشة..... رئيسـا
- الدكتور(ة): فاطمة الزهراء عطية.....مشرفا و مقررا
- الأستاذ(ة): حياة طكوك.....عضـوا مناقشا

السنة الجامعية:
2016/2015 م
1437/1436هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى
كلية الآداب واللـغات قسم اللغة والأدب العربي

موضوع المذكرة:

الأبعاد التّداولية في رسالتي ابن زيدون الأندلسي الهزلية والجدية

مـذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطلبة:
- عبد المولى بومنجل
- فاتح جبار

إشراف الدكتور(ة):
- فاطمة الزهراء عطية

أعضاء لجنة المناقشة:

- الدكتور(ة): خديجة بوخشة..... رئيسـا
- الدكتور(ة): فاطمة الزهراء عطية.....مشرفا و مقررا
- الأستاذ(ة): حياة طكوك.....عضـوا مناقشا

السنة الجامعية:
2016/2015 م
1437/1436هـ

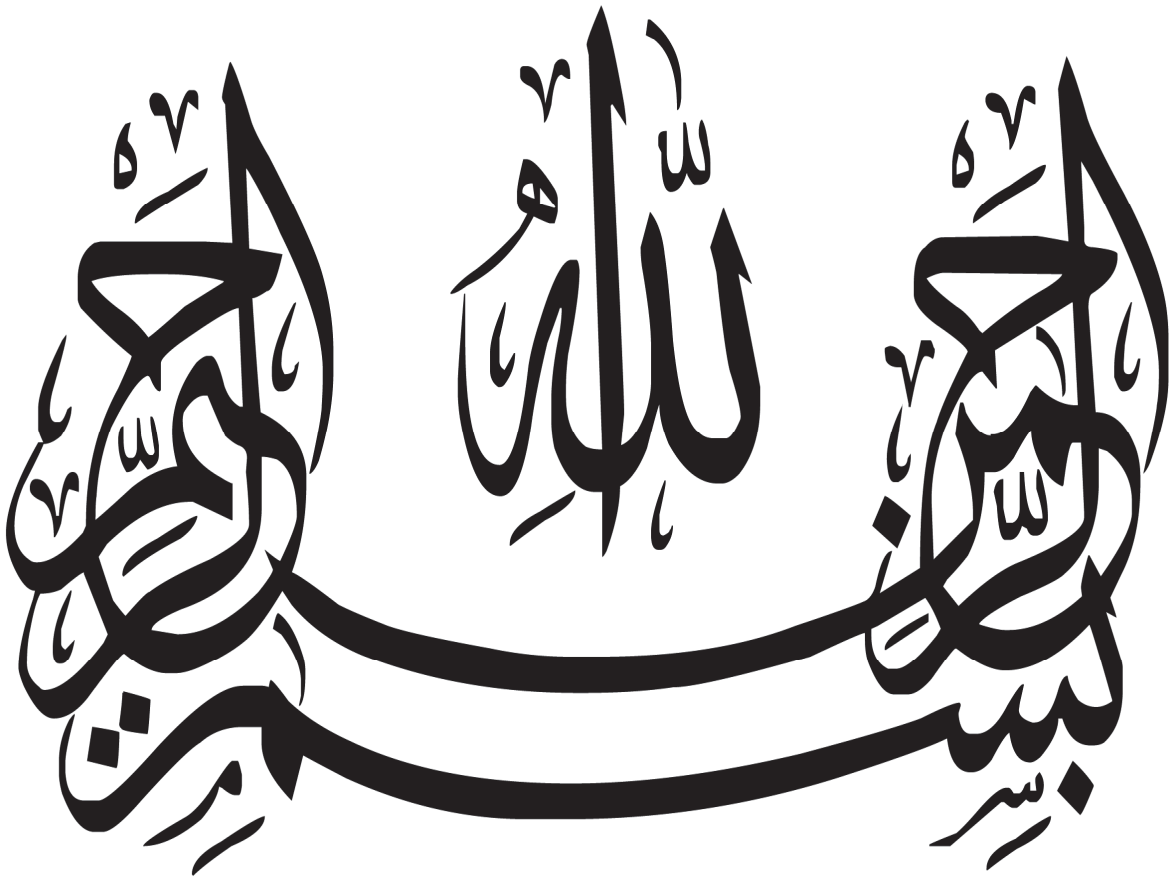
بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم من اعتز بك فلن يذل

ومن اهتدى بك فلن يضل

ومن استكثر بك فلن يقل

ومن استقوى بك فلن يضعف

ومن استغنى بك فلن يفتقر

ومن استنصر بك فلن يخذل

ومن استعان بك فلن يغلب

ومن توكل عليك فلن يخيب

ومن جعلك ملاذه فلن يضيع

ومن اعتصم بك فقد هدى

إلى صراط مستقيم

اللهم فكن لنا وليا ونصيرا

وكن لنا معينا ومجيرا

إنك كنت بنا بصيرا

تشكر

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى:

الأستاذة المشرفة الدكتورة

فاطمة الزهراء عطية

والتي لم تبخل علينا من فيض نصائحها وإرشاداتها وتوجيهاتها

السديدة التي كان لها الأثر والصدى الكبير

في إنجاز هذا العمل المتواضع.

وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في

إنجاز هذا العمل

شكرا

مقدمة

تعد اللغة من أبرز الظواهر الإنسانية، فهي واحدة من أهم وسائل التواصل بين الناس، فلذلك تزداد حاجتنا لفهم اللغة التي نمارس بها حياتنا فنسعى للإلمام بها والتعرف على خصائصها، وإمكاناتها، ولهذا حظيّت اللغة بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة منذ عشرات القرون، فظهرت مدارس عديدة عبر هذه الفترات الزمنية، ولكن الثورة التي شهدها التفكير اللغوي المعاصر كان على يد العالم السويسري فرديناند دي سوسير(ferdinand de saussure) الذي جاء باللسانيات، والتي كان موضوع دراستها اللسان (langue) وهو الجانب الأساسي في اللغة (langage) على اعتبار أنه منظومة من العلامات والقواعد، وهو كنز جماعي موجود في الدماغ ذو وظيفة اجتماعية مستقلة عن الأفراد فالجانب الثانوي هو الكلام (parole) المتعلق بالأفراد، ويراه دي سوسير غير جدير بالاهتمام.

فجاءت اللّسانيات التّداولية لتكمل هذا الجزء المبتور من هذه الدراسة، فكانت بمثابة ردة فعل على اللّسانيات الوصفية التي أقصت من دراستها الجانب الحي في اللغة وهو الاستعمال (الكلام)، فآثرنا أن تكون اللّسانيات التّداولية هي الجانب التطبيقي في هذا البحث، واخترنا الرسالتين الهزلية والجدية لابن زيدون الأندلسي لتكون مناط هذا التطبيق التداولي؛ فهذين الرسالتين لم يسبق وأن درستا في هذا المجال اللّساني، فكان عنوان مذكرتنا "**الأبعاد التداولية في رسالتي ابن زيدون الأندلسي الهزلية والجدية**".

فأدرجنا هذه العينة من الرسالتين "الهزلية والجدية" في منظور التّداولية وحاولنا تتبع تفاعلاتها المختلفة محاولين الإجابة عن الأسئلة المطروحة:

- كيف تساهم التداولية في الكشف عن دلالات النص الأدبي ؟

- ما هي أهم الأبعاد التداولية التي تساهم في إثراء مثل هذه النصوص ؟

-كيف تمت عملية استغلال آلياتها وتطبيقها على الرسالتين ؟

ومن الدوافع التي أدت بنا إلى اختيار هدا الموضوع:

- إضافة جديد للعناوين التي ينتجها قسم الأدب واللغة العربية؛ من خلال تطبيق آليات التّداولية وأبعادها في رسالتي ابن زيدون الهزلية والجدية.
- قلة الدراسات التي تناولت المدونات القديمة (الرسائل) وخاصة في الجانب اللّساني التّداولي.
- التعلق الشديد بالدرس اللّساني التّداولي.

ونظرا للأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا الموضوع؛ إذ أنّ التّداولية هي علم لساني حديث، فمن خلال هذا البحث سنحاول رفع الغموض الذي يعتري هذا الموضوع ،كما أننا سنعرف بالتّداولية ونظرياتها ونشأتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى التي تتداخل معها ،كما أننا سنقوم بتطبيق ثلاث نظريات على الرسالتين؛ وهي: الإشاريات، وأفعال الكلام، والحجاج، وتطبيق آليات هذه النظريات على الرسالتين مما يثري الدرس اللّساني التّداولي التطبيقي في هذا العلم الجديد.

ومن أهم الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها من خلال هذا البحث هي: التّعرف على آليات وأسس الدرس التّداولي، وكذا التّعرف على مدى قدرة تطبيق آلياته على النماذج العربية (رسالتي ابن زيدون).

وقد تم اختيارنا لمنهج الدراسة، فكان المنهج التداولي الأقدر والأوفى، من حيث مناسبته لمثل هذه الدراسات التحليلية التطبيقية.

وقد قسّمنا هذا العمل إلى مدخل وفصلين تطبيقيين. ففي **المدخل** المعنون بـ"**التّداولية :النشأة والتطّور** "، حاولنا أن نقدم تعريفاً موجزاً اشتمل الجانبين اللغوي والاصطلاحي للتداولية، ثم قمنا بعرض لنشأة التداولية وتطورها وأهم الأعلام الذين نظروا لها، وذكر أهم النظريات التي جاؤوا بها وتعريف بهذه النظريات بنوع

من البساطة والاختصار، وعرضنا بعدها علاقة التداولية بالمجالات الأخرى، التي تتداخل معها، وبعدها قمنا بتبيان علاقة التداولية بالحجاج والبلاغة وذكرنا وظائف البلاغة وأنواع الحجج.

ثم عرضنا في **الفصل الأول** الموسوم بـ" **تجليات الأبعاد التداولية في الرسالة الهزلية لابن زيدون الأندلسي**"- والذي خُصص للرسالة الأولى: الهزلية - للجانب النظري للأبعاد التداولية المتناولة في الدراسة، مركزين على ثلاثة مسارات نطبق عليها وهي: الإشاريات وأفعال الكلام ثم الحجاج.

أما **الفصل الثاني** فقد جاء تحت عنوان: " **تجليات الأبعاد التداولية في الرسالة الجدية لابن زيدون الأندلسي** " فخصصناه للرسالة الثانية: الجدية، وفيه قمنا بتطبيق المسارات الثلاثة نفسها على الرسالة، نستخرج النماذج ونحلل ونناقش وفق كل مسار.

وفي الخاتمة قمنا بعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا العمل اللساني التداولي التطبيقي على الرسالتين الهزلية والجدية لابن زيدون الأندلسي.

ومن أهم المصادر و المراجع التي اعتمدناها في هذا البحث:

- ديوان ابن زيدون ورسائله.

- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة المصري.

- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون لخليل بن أبيك الصفدي.

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة.

أما أهم العوائق التي وقفت أمامنا في هذا البحث هي:

- ضيق الوقت أمام هذا الموضوع الواسع والشيّق.

- اتساع المادة وضيق المجال للتفصيل فيها وإعطائها حقها من الدراسة.

- اتساع المدونة المدروسة واعتمادها عل كثير من الاقتراحات والشواهد وهذا ما جعلنا ندخل في إشكالية الاختيار.

تمّ بعون الله تعالى هذا البحث بمعونة علمية عالية من أستاذتنا المشرفة على الدراسة الدكتورة عطية فاطمة الزهراء. فإليها نتقدم بجميل الشكر، وخالص الامتنان، وجزاها الله عنا خير الجزاء

كما نتقدم بالشكر إلى الأساتذة المناقشين لهذا البحث، الذي سيتشرف بتقييمهم، وملاحظاتهم القيمة له.

مدخـــل

التداولية النشأة والتطور

عتبة:

تعد اللسانيات التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت على ساحة الدرس اللساني المعاصر بعد ما كانت تقتصر أبحاث اللسانيات على الجانب البنيوي الذي يهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية، وكذا تفسير النظام اللغوي وإقصاء العنصر السياقي، وكل الظروف المحيطة بالعمل الأدبي، مثل الظروف النفسية للأديب والظروف الاجتماعية التي تحيط به وغيرها، وهذا ما أُصْطُلِحَ عليه " لسانيات الوضع " ؛فبذلك كانت الدراسة البنيوية للغة: لذاتها ومن أجل ذاتها، أي أنَّ اللغة هي الوسيلة والغاية في الوقت نفسه.

وعلى ذلك، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج مقابل ذلك " لسانيات الاستعمال "، حيث أنها تدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين، ولكن قبل الخوض في الدراسة التداولية، يجدر بنا أن نعرّج على ماهية العلم وأسسه وعوامل ظهوره وتطوره والمواضع التي خصها بالدراسة.

أولا– مفهوم التداولية :

أ – المفهوم المعجمي :

إن كتاب الله تعالى دستور جامع ومن ثمة ينبغي أن نستأنس به في تحديد معنى التداولية، ومن شواهد استخدام هذا المصطلح في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الحشر ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلۡعِقَابِ﴾ "[1] وبيان : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، أي :كي لا يكون ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر وسبيل الخير».[2]

وذكر أيضا في قوله تعالى:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [3].ومعنى نداولها أي؛ نصرفها بين الناس تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء.

أما في المعاجم العربية اللغوية فيورد صاحب الكشاف في هذا المعنى: « تداولها لصرفها بين الناس نذيل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله: وهو من أبيات الكتاب:

فيومًا علينا ويوما لنا ويومًا نساء ويوم نسر ».[4]

ومن كل ما سبق، نلاحظ أن مدار اللفظ (داول) يفيد الإنتقال والتّحول من حال إلى حال أخرى.كما ورد هذا المعنى في معجم أساس البلاغة للزمخشري:« (دول): دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوّهم جعل الكثرة لهم عليه، ويقال الدهر دول وعقب ونوب، وأديل المسلمون على المشركين يوم بدر

[1]- سورة الحشر: الآية (07).

[2]- الإمام الطبري: القرآن وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري والمعجم المفهرس لمواضع القرآن الكريم ، قدم له وراجعه : مروان السوار ، دار الفجر الإسلامي ، ط 07 ، 1995 م ، ص: 546.

[3]- سورة آل عمران: الآية 140.

[4]- أبو القسم جار الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت د ط، ج2، ص: 435.

وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد (...) والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه يراوح بينها ».[1]

وورد تعريف آخر في معجم اللسان لابن منظور مفاده:

« تداولنا الأمر، أخذناه بالدول وقالوا دواليك؛ أي مداولة على الأمر (...) ودالت الأيام؛ أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل مرة هذا وهذا مرة».[2]

فمن خلال هذه التعاريف اللغوية: نجد أن المعاجم العربية لا تكاد تخرج في دلالتها للجذر (دَوَلَ) على معاني التحول والتبدل والتغير والإنتقال كما قلنا؛ سواء من مكان إلى آخر أو من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغير والتبدل والتناقل.

وفي معرض هذا الحديث يقول الباحث المغربي طه عبد الرحمن: « إن الفعل تداول في قولنا: تداول الناس كذا بينهم؛ ويفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ».[3]

فهو بذلك يجعله مرادفًا للفعل (دار) الذي من معانيه نقل الشيء وجريانه و دار على الألسن ، أي جرى عليها.

[1]- أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ج1، ص:303 مادة (دول).

[2]- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، المجلد:11، 1994 ص: 252.253، مادة (دول).

[3]- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1993، ص:243.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

اللسانيات التداولية مبحث لساني جديد ونظريته لم يكتمل بناؤها بعد، كما أنها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى وهذا ما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه، ففي دراسة اللغة تجده يبحث عن حل عديد المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات البنيوية ولم تهتم بها.

هنا يتضح مفهوم التداولية جليًا، فاللسانيات التداولية تشكل محاولة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث، وهي أسئلة من قبيل: « ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم؟ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام والغموض عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيئًا آخر غير الذي كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ ».[1]

وعليه، فالتداولية مصطلح غربي يقابله في اللغة الفرنسية (pragmatique)، وفي اللغة الانجليزية (pragmatics) وجاء في موسوعة كمبريدج تعريف المصطلح باللغة الانجليزية:

"pragmatics: the study of the factors influencing a person s choice of language" [2]

وهذا التعريف يشير إلى أن التداولية هي دراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة، ثم ينتقل تأثير هذا الاختيار في الآخرين عن طريق التواصل والتفاعل حسب قصد المرسل ورغبة المتلقي.

كما وردت مفاهيم أخرى عديدة في كتاب (pragmatiqics) الذي ألفه لفنسون(levinson) منها :

« pragmatics is the study of language usage »[3]

[1] – فرانسواز أومينكو: مقاربة تداولية، ترجمة: سعيد علوش: مركز الإنماء القومي، (د – ت)، ص:11.

[2] -crystal Savid the Cambridge encyclopedia of languaga Cambridge university, paress-1989 p :120.

[3] – levinson stephen: pragmatics,cambridge university, press , p :24.

وهذا معناه؛ أن التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال.

أما في اللغة الفرنسية نجد تعريف مختصر للتداولية في قاموس لاروس:

« pragmatique : domaine qui étudie l usage que prouvent faire de la langue ,des interlocuteurs en situation de communication» [1]

وهذا يعني؛ أنَّ التداولية ميدان يقوم بدراسة إمكانات استعمال اللغة من قبل المتخاطبين في التواصل.

فمن خلال هذه التعاريف نستنتج أن التداولية تعنى بالعلاقة بين النص ومستعملي اللغة، ودراسة الجانب الحي من اللغة؛ أي تركز على الجانب التَّواصلي؛ لأن هذا الجانب ظل مهملاً من جهة اللسانيين الذين أولوا عناية بالدراسات اللغوية على حساب علم التراكيب (syntaxe)، وعلم الدلالة (sementique) فاللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها، بل إنَّ الاتصال يلعب دوراً فاعلاً إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة.[2]

وعلى هذا تعددت مفاهيم التداولية من خلال تعدد التخصصات والنظريات التي احتوتها في حل عديد الإشكالات، كما أن التعدد في التخصصات سبب في اختلاف تعاريفها، إلاَّ أنه يمكن أن نعرفها عموماً بأنها: « الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل».[3]

أو كما يعرفها فرانسيس جاك (Francis jacques) حسب موضوع بحثها « إذ تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً ».[4]

أما بهاء الدين محمد مزيد يرى بأن التداولي (pragmatics) عبارة عن : « دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام ، بمعنى (language in use) ، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية.

---

[1] -petit la rousse- libraire. La rousse paris Edition, 1980, p :734.

[2]- ينظر: ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002، ص: 169.

[3]- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاديقية، سوريا، 2007، ص: 19.

[4]- فرانسواز أرمينكو: مقاربة تداولية، ترجمة سعيد علوش: مركز الإنماء القومي، د ت، ص: 8.

وهي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية».[1]

الملاحظ من القول السابق أن في استعمالنا اليومي للغة؛ أن الكلمة تتجاوز معناها المعجمي فتنشأ عنها معاني جديدة ودلالات تتجاوز حدودها المعجمية مهما اتسعت هذه المعاجم ،وتصبح التداولية بهذا المعنى، تهتم بعلاقة العلامات بمنتجها، ومستقبلها وسياق إنتاجها وتلقيها.

أما مسعود صحراوي فيرى أنَّ التداولية ليست علماً لغوياً محضاً، « ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي وتفسيره" » .[2]

ويقصد بتفسير ظاهرة التواصل اللغوي؛ الخروج إلى معنى المتكلم ومبتغاه من كلامه أو تجاوز المعنى اللغوي والدلالي إلى المعنى المقصود.

ويساوي الجيلالي دلاش بين اللسانيات التداولية ولسانيات الحوار معرفاً أياها بقوله: « أنها تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما تُعْنَى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث » [3] ومفاد هذا القول أن المقصود بتأويل الخطاب: الخروج عن المعنى الحرفي والمعجمي إلى المعنى المقصود أو معنى المتكلم.

[1]– بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2010، ص: 18.

[2]– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص: 16.

[3]– الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص:1.

ثانيا: نشأة التداولية وتطورها:

لَعَلَّ من نافلة القول التأكيد على أن اللغة من أبرز المظاهر لدى البشرية، فهي واحدة من أهم وسائل التواصل بين الناس، لذلك تزداد حاجتنا لفهم اللغة التي نمارسها يوميًا.

ولهذا نسعى في محاولة الإلمام بها والتعرف على خصائصها وإمكاناتها، ومن ثم حظيت اللغة بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة منذ سنوات ماضية وقد ظهرت خلالها مدارس كثيرة ، أما الثورة التي شهدها التفكير اللغوي المعاصر كانت على يد العالم السويسري فرديناند دي سوسير(ferdinand de saussure)، الذي أرسى دعائم " اللسانيات "، وتضمن في هذا الموضوع دراسة اللسان (langue) وهو الجانب المهم في اللغة (langage) .

على اعتبار أن اللسان نظام من العلامات والقواعد، موجود في الدماغ، وهو ذو وظيفة اجتماعية مستقلة عن الأفراد.

أما الجانب الثانوي هو الكلام (parole) الذي يتعلق بالأفراد ويراه دي سوسير غير جدير بالاهتمام.

وعلى هذا الأساس كان من أهداف اللسانيات المعاصرة بناء نظرية عامة للقواعد، حيث تسمح بوصف كل اللغات الإنسانية دون استثناء، على اعتبار اللغة مجموعة من القواعد والقوانين التي يجمعها نظام واحد.

وتوالت البحوث في اللسانيات وازدهرت بفضل مجموعة من جهود كبار علماء اللغة مثل بلومفيلد (Bloomfield) ورومان جاكبسون (Roman Jakobson) وأندريه مارتيني (André Martinet) وتشومسكي (Chomsky) وغيرهم، فقد شهد الدرس اللساني تحولاً جذريا في مساره بفضل جهودهم، وكذا اتصال المشتغلين باللغة وبعض العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة، فأدى هذا الاتصال إلى ظهور فروع جديدة للسانيات مثل: اللسانيات الاجتماعية، اللسانيات النفسية، واللسانيات التداولية.

وعليه، فإننا لم نرى قبل القرن التاسع عشر (19م) منهجًا علمياً للسانيات، ولا تميزاً معرفياً لها مثل ما هو موجود في عصرنا الحالي، ففي بداية القرن العشرين (20م)،ظهرت المدارس اللسانية،- مثلا- نجد مدرسة جنيف، التي وضع قواعدها العالم السويسري فرديناردي سوسير(ferdinand de saussure)، ثم مدرسة كوبنهاقن التي أرسى قواعدها لويس يلمسيلف (louis hyelmeslev) ومدرسة لندن التي تزعمها فيرث (j.r.firth).

أما في أمريكا فظهرت التيارات اللسانية العامة كاللسانيات الوظيفية لبلومفيلد (Bloomfield) والبنيوية لـ هاريس (haris) والقواعد التحويلية لتشومسكي (chomsky)، وعلم الدلالة عند ريتشردز أوغدن (Richars et ogden) وغيرهم...الخ.

ثم ظهرت اللسانيات التداولية في الساحة الأمريكية كرد فعل على اللسانيات الوظيفية التي أقصت من دراستها الجانب الحي وهو الاستعمال الذي يمثله الكلام.

إنَّ التداولية (pragmatique) هي نتاج تيارات لسانية وفلسفية ويعود الفضل في ظهورها بصفة عامة إلى أعمال فلاسفة اللغة التحليلين، وإلى الفيلسوف البريطاني جون أوستين (Jhon Austin)[1] على وجه خاص، فقد ألقى محاضراته بجامعة " هارفورد " ضمن برنامج محاضرات " ويليام جيمس " وكان هدفه في بادئ الأمر؛ تأسيس اختصاص فلسفي جديد في فلسفة اللغة.

وبذلك يعتبر جون أوستين المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية، وذلك سنة (1955م) عندما ألقى محاضراته " وليام جيمس " (Wiliam James lectures) وعلى هذا الأساس كانت التداولية في نشأتها الأولى

[1]- جون أوستين: (Jhon Austin): منطقي ولساني بريطاني (1911 – 1960)درس الفلسفة في أوكس فورد (1952 – 1962) لم تصدر له كتب؛ إلا أن مقالاته جمعت في:

1- philosophical paper, 1961.

2- Sens and sensibilia , 1962.

3- Ho to do thing go with words , 1962.

مرادفة للأفعال الكلامية وهذا ما أطلق عليه باحثون اسم (تداولية أفعال الكلام) لذلك يعد جون أوستين أبًا للتداولية. حيث لم يكن يهدف من خلال تلك المحاضرات تأسيس اختصاص فرعي في اللسانيات وإنما كان هدفه تأسيس اختصاص جديد وهو " فلسفة اللغة "، وبذلك يمكننا اعتبار " محاضرات ويليام جيمس " بوثقة التداولية اللسانية. [1]

وعلى هذا، فإن أوستين كان يهدف في محاضراته إلى التصدي والرد على فلاسفة اللغة الوضعية (logical positivisme)« الذين يرون في اللغة وسيلة لوصف الواقع أو الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية يتم الحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ فإذا كانت صادقة كانت مطابقة للواقع وبالكذب إن لم تطابقه، فإن لم تطابق العبارة الواقع لا يمكننا الحكم عليها بالصدق والكذب؛ وبالتالي فالعبارة لا معنى لها وهذا ما يطلق عليه أوستين " المغالطة الوضعية " (descriptive fallacy)». [2]

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أراء فيتغنشتاين التي تأثر بها أوستين في نظريته أن اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، فللغة وظائف عديدة: كالأمر والاستفهام، والتمني والتهنئة والقسم والتحذير (....)، وليست اللغة عنده حسابا منطقيا دقيقا فلكل كلمة معنى محدد، ولكل جملة معنى ثابت؛ بحيث لا تنتقل من جملة إلى نحو ما يلزمها من جمل مراعيا قواعد الاستدلال المنطقي، بل الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية وتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها فالمعنى عنده هو الاستعمال (Meaning use). [3]

[1]- ينظر: آن ريبول وجاك موشلر: التداولية اليوم، (علم جديد للتواصل)، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر ط1، 2003، ص: 28.

[2]- محمود أحمد نحلة: الاتجاه التداولي المعاصر، إعداد وتقديم محمد مصطفى أبو شوارب، وآخرون، دار الوفاء لدنيا النشر، الإسكندرية، ط1، 2004 ص: 195.

[3]- المرجع نفسه، ص: 194 (بتصرف).

وبذلك يحدد أوستين وظيفة اللغة بأنها: « ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية ». [1]

وكما قلنا سابقا: إن أوستين في نظرية أفعال الكلام تأثر بالفيلسوف فيتغنشتاين الذي كان من الفلاسفة الأوائل من نظر الجانب الاستعمالي للغة، واهتم بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر بأنهما غير منفصلين إلى جانب ذلك لا وجود للغة خاصة بالفرد وأن الفرد يتبع في تراكيبه لغة عموم مجتمعه، منتهيا إلى استبدال التواصلية في اللغة بالتعبيرية، واللغة بهذا المفهوم ليست وسيلة للفهم او التمثيل للعالم بقدر ما هي وسيلة تأثير في الآخرين،لارتباطها بالمواقف المحسوسة في التواصل. [2]

وعرض في ذلك فكرة (ألعاب اللغة)، وهي تعبير في معناه الأولي، الأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه من خلال كتابه " الفلسفة والمنطق (1921م) الذي كشف فيه مفهوم التلاعب بالكلام.

وأصبح فيها بعد أحد دعائم ظهور التداولية، ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات فهو قائم على ممارسة التأويل، من خلال الأداء الفعلي للغة، خاتما إياه بالعبارة الآتية: « كل ما نستطيع أن نقوله يجب أن يبقى في طي الكتمان ». [3]

وخلاصة مفهوم التلاعب بالكلام أو ألعاب اللغة، أن الأفعال التي نتلفظها، ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها، أي أنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين كلامهم وينتج عن ذلك «اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح»[4].

[1]- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص: 155.

[2]- ينظر: فرانسواز أرمينكو: مقاربة تداولية، ص: 22 ، 23.

[3]- فيتغنشتاين: بحث في الفلسفة والمنطق، نقلا عن بيار آشار: سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1 1996، ص: 96.

[4]- المرجع نفسه، ص: 96.

وبذلك، يبين المعنى المحصل الذي يرتبط بالكلام وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة والناطق في كل ذلك يتبع قاعدة ويتمثل إليها؛ وهي لا تعدو في رأي فيتغنشتاين كونها لعبة من ألعاب اللغة وشأنها في ذلك شأن الممارسات الأخرى مثل: لعبة الشطرنج (...) وغيرها. [1]

وما قدمه أوستين لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، إلاَّ أنه يعد نقطة انطلاق لها وذلك بتحديد لعدد من المفاهيم الأساسية فيها إلى أن جاء تلميذه جون سيرل (J. searl) [2] ليضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها هذه النظرية، ويعتمد سيرل في نظريته على مبدأ فلاسفة اللغة العادية، والذي تلخصه عبارة القول هو العمل، فالقول في نظره « سلوك من الشكل الاجتماعي الذي تضبطه قواعد ». [3]

كما أشار سيرل إلى الأفعال اللغوية غير المباشرة فكان تحليل الأفعال الكلاسيكية واللغوية يتركز على الانشغال حيث يؤول فيه القول بمعناه الحرفي، إلاَّ أنه توجد حالات يشتغل فيها الفعل اللغوي بكيفية مركبة فهناك أعمال وأقوال يرمي المتكلمون من خلالها إلى التعبير عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، ويعرف هذا النمط من الأفعال " بالأفعال اللغوية غير المباشرة " والتي تتميز باختلاف قوتها الإنجازية عن مراد المتكلم مثلما هو الشأن في الاستعارات، فقد لاحظ سيرل أن التأويل الكافي في بعض جمل اللغات يصبح متعذر؛ إذا ما اكتفينا بما تحتويه الصيغة من معلومات قائلاً في هذا الشأن: « هناك حالات يتمكن فيها المتكلم من قول جملة ولا يريد بها معناها الظاهر ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى المنادي مغاير، مثلاً: يمكن للمتكلم أن يتلفظ بجملة: هل بإمكانك أن تناولني الملح؟ ولا يدل على الاستفهام بل طلب تقديم الملح». [4]

وهكذا، يرى سيرل انه يتم انجاز أربعة أفعال في الوقت ذاته:

[1]- ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 18 ، 19.

[2]- جون روجيرز سيرل: (Rogers Searl)، فيلسوف أمريكي ولد سنة 1932 من أهم مؤلفاته:
Speach Acte en essay in the philosophy of language,1969.

[3]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص:25.

[4]- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص: 164.

(أ)- فعل القول: (Acte d énonciation)

(ب)- فعل الإسناد (Acte propositionnel)

(ج)- فعل الإنشاء: (Acte performatif)

(د)- فعل التأثير: (Acte perlocutif)

وفي هذا المقام، يمكن أن نشرح الأفعال التي أتى بها سيرل: فالفعل (أ) يتمثل في التلفظ بالكلمات والجمل، والفعل (ب) يسمح بربط الصلة بين المتكلم والسامع؛نأتي بمثال نشرح ما قلناه: " أنصحكم بمغادرة القاعة " التي تحيل إلى الأنا والأنتم (إحالة) مع الإسناد المتمثل في مغادرة القاعة، والإحالة والإسناد ها هنا يشكلان القضية[1]؛ التي هي ليست بعد بـ " فعل الكلام " أما مع الفعل (ج) يحقق الفعل الإنشائي؛ أي القصد المعبر في القول، وقد يكون هذا القول نصيحة أو شعار أو تحذيرأو تهديد أو وعد أو أمر. [2]

نستنتج من خلال الأقوال (أ) و (ب) و (ج) أن سيرل لا يهتم إلاَّ بالأعمال المتضمنة في القول؛ لأنه شك في وجود أعمال " تأثير القول "، كما أنه لم يحفل بالأعمال " القولية " إنما إسهامه الرئيسي في التميز بين الفعل المتضمن في " القول " عن فعل القضية (propositionnel Acte)؛ أي فعل التعبير عن فعل القضية لأنه يمكن أن يقع الفعل القضوي نفسه في أنواع مختلفة من الأفعال المتضمنة في القول مثلا:

- سوف آتي (خبر).
- سوف آتي (وعد).

[1]- " القضية ": proposition : يطلق الفلاسفة التحليليون لفظة " قضية " على كل حالة ذهنية ذات محتوى يمكن أن يحكم عليها بالصدق أو الكذب، وهي موضوع علم المنطق؛ لأنها الوحدة الأولى في الكلام المفهوم التي تثبت شيئا وتنفي شيئا والتي تحتمل الصدق أو الكذب عند التحقق منها في العالم الخارجي ، الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 25.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 25، 26 (بتصرف).

من خلال المثالين نلاحظ أن هناك فعل قضوي واحد، لكنهما فعلان مختلفان عن الأفعال المتضمنة في القول، وبذلك جرد سيرل " الفعل القضوي " عن " الفعل المتضمن في القول " خلافاً لأوستين الذي جرد " فعل القول " عن " الفعل المتضمن في القول ".

وننتقل بحديثنا الآن لغرايس، الذي جاء بنظرية المحادثة (قواعد الفعل الكلامي)، وقبلها كنا عرفنا أن النظرية التداولية تُعطي اهتماما كبيراً للدور الذي يقوم به المتخاطبون في العالم، فهم لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب؛ بل إنهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاونون عليه لضمان نجاح عملية التواصل.

وقد اقترح بول غرايس (poul Grice) في مقاله الشهير المنطق والحوار (logic and conversation)، اقترح مفهوم حكم المحادثة، أما الأمر الذي كان يشغله كان « كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئًا آخر؟ ثم كيف يمكن أيضا للمخاطب أن يسمع شيئا ويفهم شيئًا آخر ».[1]

ومفاد القول أن غرايس قد اقترح حلاً لهذا الإشكال بأن وضع مبدأ يعد المبدأ التداولي الأول للتخاطب وهو ما أسماه بمبدأ التعاون (coopérative principale).

والقواعد المشتقة منه موزعة على أربعة أصناف وهي:

1- مبدأ الكمية (Quantity) (يتعلق بكم الخبر).
2- مبدأ الكيف (Quality) (يرتبط بكيف الخبر).
3- مبدأ المناسبة (Relevance) (يرتبط بعلاقة الغير بمقتضى الخبر).
4- مبدأ الطريقة (Manner) (يتعلق بجهة الخبر).[2]

[1]- محمود أحمد نحلة: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، ص: 189.

[2]- ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط2، 2000 ص: 103 ، 104.

ومن خلال هذه المبادئ المقترحة من بول غرايس (poul Grice) [1] يستعمل المتكلم الوسائل اللغوية المناسبة لتنسيق أفعال المتكلم مع أفعال المستمع، واتباع هذه المبادئ وما جاءت به من توصيات: كنقل المعنى وتيسير المحادثة نحو الإفهام وتحقيق الهدف المشترك وغيرها.

وعليه نشرح مبدأ التعاون المذكور أعلاه الذي أشار إليه غرايس يتفرع إلى قواعد فرعية:

1- « قاعدة كم الخبر:

أ- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

ب- لتجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

2- الكيفية:

أ- لا تقل ما تعلم كذبه.

ب- لا تقل ما ليس لك عليه بينة.

3- العلاقة:

أ- ليناسب مقالك مقامك.

4- قاعدة الطريقة لجهة الخبر:

أ- لنحترز من الالتباس.

ب- لنحترز من الإجمال.

[1]- بول غرايس (poul Grice): فيلسوف أمريكي (1913 – 1988) من أهم فلاسفة اللغة ممن كان لهم أثر كبير في الدرس الفلسفي للمعنى، وكيف نشكله من اللغة انطلاقا من فهم آليات المحادثة، صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضراته الشهيرة " محاضرات وليام جيمس William James lectures التي ألقاها بجامعة هارفورد سنة (1968) ونشرت لاحقا سنة 1975 أصدر مقالا ترجم إلى عدة لغات بعنوان logic and conversation ، محمود نحلة: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، ص: 189.

ج- لنتكلم بإيجاز.

د- لترتب كلامك ». [1]

إن هذه القواعد المصاغة من غرايس أخذت وجهة أخرى مع روبين لاكوف؛ إذ أرجعت أصول نجاح العملية التخاطبية إلى مبدأ واحد هو مبدأ التأدب.

نصل إلى القول أن التداولية منهج يحمل آفاقا واعدة في التحليل وهذا لخصوبة المجالات التي يحتاجها و التي تتعلق بالتخاطب وإيلاء الأهمية للظروف التي يتم فيها التخاطب، وكذا اعتبار التخاطب أو التكلم فعلا إنجازيًا.

ثالثا: علاقة التداولية بالمجالات الأخرى:

هناك بعض المجالات التي تتقاطع مع التداولية ونذكر منها على وجه الخصوص لا العموم وهذه المجالات هي:

1- علاقتها باللسانيات البنيوية:

إن الحديث عن العلاقة بين التداولية و اللسانيات البنيوية التي تعتمد على مبادئ دي سوسير في دراسة اللغة، هو حديث عن التداولية التي تهتم بالكلام المبعد عن الدراسة في مجال الدراسات اللسانية حسب دي سوسير حيث يقول: « اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة ». [2]

وهذا معناه، أن البنيوية تهتم في مجال دراستها بنظام اللغة دون الاهتمام بسياق التلفظ، والظروف الأخرى التي تحيط بالمتكلم أثناء الكلام.

---

[1]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص: 238.

[2]- فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبي، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988، ص:33.

وفسر آخرون هذه العلاقة بأن التداولية لسانيات كلام، تقابلها البنيوية لسانيات اللغة. [1]

الملاحظ من خلال هذا القول: أن أغلب الدارسين عند حديثهم عن العلاقة بين التداولية واللسانيات البنيوية يشتركون في قولهم: أن التداولية مكملة للبنيوية؛ لأنها تهتم بالكلام الذي يعد أبعد من مجال دراسة علم اللسان في نظر دي سوسير.

وعليه، فاللغة لا تتحقق إلاَّ في مستوى الكلام، وتبقى حاملة خصائص من يؤديها مهما اجتهد في تجاوز ذلك، أما الكلام فهو من مظاهر تحقق اللغة في الواقع، ودراسته تتطلب دراسة الواقع الفعلي لها. فالتداخل واضح بينهما؛ الكلام هدف تطمح إليه لسانيات دي سوسير وترجوه التداولية. فالتداخل بينهما واضح، فحين نهتم بدراسة نظام اللغة؛ فإننا أمام وصف النظام وشرح شروطه وقواعده وقوانينه التي تمثل منظومة مشتركة بين الناطقين بهذه اللغة. [2]

أما التداولية فقد عُرِفَت في مفهومها بأنها « دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة نظام اللغة »[3] فاستعمال اللغة له تأثيرات على التواصل وكذا على النظام اللغوي، وهذه التأثيرات تهتم بها اللسانيات التداولية.

ونصل أخيرا إلى تبيان العلاقة بين ما هو لساني وبين ما هو تداولي، اعتمادا على معجم (جاك موشلر) و (آن ريبول) اللذان يطرحان فيه جملة من الإشكالات منها: « ماذا يعني براغماتي؟ أهو لساني أم فيلسوف أم عالم نفس ».[4]

ونجيب عن هذا السؤال فنقول: إن مجموع النظريات اللسانية من البنيوية إلى التوليدية وضحت أهمية اللسانيات التي تنحصر في دراسة نظام اللغة (صوتيا، صرفيا، نحويا ودلاليا)، لكن اللسانيات التداولية أثناء دراستها للغة تتجاوز منوال (الشكل والمعنى) إلى مجالات أخرى لا يحكمها هذا المنوال كالملفوظية والحجاج ومظاهر الاستدلال في اللغة ،والتضمين، والاقتضاء وغيرها (...) الخ.

[1]- ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، ص: 123.

[2]- المرجع نفسه،ص: 123. (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص: 124.

[4]- جاك موشلر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 23.

2- علاقتها بالنحو الوظيفي:

يعد النحو الوظيفي أحد أسس الدرس التداولي، إلى جانب الفلسفة والنظريات اللسانية الحديثة، كما أن هناك بعض من جعل (الوظيفة) في عموم معناها تقابل التداولية، من مبدأ أن خصائص بنيات اللغات الطبيعية تتحدد من ظروف استعمالها، وإذا كان تداول اللغة مظهرا من المظاهر إلى جانب المعجم والتراكيب فإنه يمكننا القول بأن النحو الوظيفي هو الذي يحدد أهدافه في سبيل تحقيق كفايةً نفسيةً ،وكفايةً تداولية، وكفايةً نمطية ،ودعائم مهمة في التفسير التداولي للخطاب. [1]

ويذهب (سيمون ديك) مقترحاً إخراج النحو الوظيفي ضمن نظرية شاملة تجمع نظريات التواصل اللغوية المختلفة. [2]

3- علاقتها بعلم الدلالة:

يمثل علم الدلالة أحد فروع اللسانيات الحديثة فعلاقة هذا العلم لا تخرج عن علاقة التداولية باللسانيات المذكورة سلفا، ويرجع إفرادها بهذا الحديث المستقل إلى سببين:

أ- الأول: كل من التداولية وعلم الدلالة، يبحثان في دراسة المعنى في اللغة؛ أي بيان حدود الاهتمام بالمعنى في علم الدلالة، و حدود الاهتمام في التداولية، كما أن العلاقة فيها نوع من الغموض لذلك فـ « إن التميز بين السيمانتيكية والبراجماتية ينطوي على ظلال ومادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات ». [3]

فهما وإن اشتركا في الموضوع إلا أنهما يختلفان في بعض مستويات المعنى.

---

[1]- ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1985، ص: 8.

[2]- ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص: 56.

[3]- شاهر الحسن: علم الدلالة (السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية)، ص: 159، 160.

ب- الثاني: ويقر بعض الدارسين أن اللسانيات التداولية هي امتداد للدرس الدلالي، مثل ما ذهب إليه (لاترافاس). ولم تتبين العلاقة بينهما إلا بعدما نشر أوستين محاضراته، التي كان أول ثمارها التمييز بين مجاليهما. [1]

ومن حيث فكرة الكفاءة والأداء، يُضيف علماء اللغة علم الدلالة ضمن القدرة على معرفة اللغة أما التداولية فتُصنَّف ضمن الشّق الثاني المتضمَّن للأداء.

كما تهتم التداولية بدراسة هذه الشروط، التي تربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ وإخفاقه، وهذه أول نقطة تميّز التداولية عن علم الدلالة؛ مثال: في هذه الأرض حيَّات سامَّة: فالمعنى حقيقي أنّ هذه الأرض بها حيَّات حقيقة سامة. أمّا استخدامه فمختلف:

فقد يتجاوز مفهوم (حيّات سامّة) الحقيقة إلى المجاز وقد يتجاوز استخدام هذا المعنى أيضا من الإبلاغ إلى التحذير. [2]

وفي هذا الصدد الانفصال لا يعني الاستقلال التام القائم على الاستغناء؛ لأن المقولات التداولية تُبنى على المقولات الدلالية خصوصاً عندما عُرضت فكرة التداولية ضمن الدرس اللغوي في عمومه. [3]

كما لا يمكن أن نحصُر علم الدلالة في دراسة المعنى بعيداً عن المقام و " الأصح، بأن السيمانتيكية تعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما البراغماتية اللغوية تتولى المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعالم والمقاصد ". [4]

[1]- ينظر خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2009 ص 128،127

[2]- المرجع نفسه، ص: 129 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص: 129.

[4]- شاهر الحسن: علم الدلالة (السيمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية)، ص: 160.

وهنا، يبدو وجه التداخل بينهما واضحا، فكل واحد منهما مكمَّل للآخر ويصبان في مجرى واحد حيث يهتم علم الدلالة بالملفوظات وفق قيودها وشروطها النظامية، فتحدد المعاني الحرفية لها، ولا تحدد مقاصد المتكلمين و لا تقوم بوصف معاني الجمل، وربطها باحتمال الصدق أو الكذب أحياناً، كما في المثال السابق : (في هذه الأرض حيَّات سامةً).

وتهتم التداولية بربط مقاصد المتكلم أو الكاتب بالبحث عن المقام المناسب، وكذا الشروط التي تسمح بنجاح العبارة في المثال السابق دون أن تهتم بصدقها أو كذبها بل بنجاحها أو إخفاقها، وتتجاوز الربط بين معاني الكلمات فيما بينها إلى الربط بين النص كاملا وسياق أدائه. [1]

وتكون حينها بين نوعين من المعاني؛ معنى يُستقَى من الجمل فيما بينها (مجال الدلالة)، ومعنى يُستقَى من الوحدة الكلامية كاملة (مجال التداولية).

ويُورد (خليفة بوجادي) مثالا ليقوم بتحليله وفق منظور المقاربة الدلالية ثم وفق المقاربة التداولية، ونص هذا المثال أنْ « تتصور دخول (أمين) إلى الغرفة تكون نافدتاها مفتوحتين فيقول لـ (فاطمة) الجو ليس ساخناً هنا ». [2]

قبل القيام بأي ردة فعل من (فاطمة) وجب عليها تأويل الكلام الذي قاله (أمين) وفهم خلفياته انطلاقا مما يحيط بها.

ولذلك فهو يرى أنه لإنشاء إجابة من قبَل فاطمة يجب أن تكون إجابة تابعة للمقاربة الدلالية أو المقاربة التداولية.

[1]- ينظر: فان دايك: علم النص، ص:116

[2]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص : 130.

أ- المقاربة الدلالية: لفهم الجملة المذكورة يجب أن نحكم عليها بالصحة أو الخطأ، ونرى على الأقل بأن درجة الحرارة غير مرتفعة إلى درجة الإحساس بها، فإذا توفرت شروط هذه الفرضية وكانت صحيحة، فتكون العبارة قد أدت الحقيقة وعندها تجيبه بأنه محق، وهنا يستقر التحليل الدلالي حيث تُوصَف الحقيقة و تحقق شروط الملفوظ بجانب السياق؛ وبهذا فالدلالة تدرس المظاهر المشروطة الحقيقية للملفوظ (vericonditionnel). [1]

ب- المقاربة التداولية: في هذه المقاربة قد تفهم (فاطمة) الجملة المذكورة فهماً آخر،مما ينبني على ذلك إجابة أخرى لا علاقة لها ظاهريا بما عرضه (أمين)؛ وهي أن نغلق واحدة على الأقل من النافدتين، وذلك بعد أن تَفُك رموز رسالة (أمين) انطلاقا مما قاله وما يحيط بها؛ فأمين عند دخوله كانت النافدتان مفتوحتين، و لا يشعر بالحرارة، و هنا أصابه تيار هوائي حين دخل الغرفة؛ ويُفْتَرضُ أنه يطلب منها على الأقل إغلاق نافدة واحدة فهذه دلالة أخرى مختلفة عن معنى العبارة المشتركة ويكون أمين قد أنجز فعل طلب وكان ناجحًا، لأن فاطمة فهمته. [2]

فالاستنتاج المتوصل إليه أخيرا أنّ التحليل التداولي يستقر عند « فكّ رموز رسالة المتكلم من المحتوى المراد حتى لو كانت الرموز مشتركة، لأنها قد تحتوي على اللامقول والضمني، واعتمادًا على ما يُزوّدُها به السياق من فرضيات حول قصد المتكلم، فالتداولية – عمومًا – تدرس مظاهر غير مشروطة حقيقة للملفوظ (les mons - véricondition nel) ». [3]

4- علاقتها باللسانيات الاجتماعية:

إن علاقة اللسانيات التداولية باللسانيات الاجتماعية يمكن أن يُؤَرّخ لها بظهور المدرسة الاجتماعية اللسانية بزعامة " فيرث " الذي تأثر بنزعة " دوركايم " الاجتماعية للغة، هذه المدرسة التي نشأت كرد فعل على اللسانيات البنيوية التي أبعدت المكون الاجتماعي عن التحليل اللغوي، ووجدت صداها ضمن ما يسمى باللسانيات التداولية. [4]

[1]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ، ص: 130.131 (بتصرف).

[2]- المرجع نفسه ، ص: 131. (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص: 131،132.

[4]- ينظر: بيار أشار: سوسيولوجيا اللغة، تعريب: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1995، ص: 89 ،90.

ويؤكد خليفة بوجادي العلاقة القائمة بينهما بقوله: « إنّ للتّداولية تداخُلاً كبيراً مع اللسانيات الاجتماعية و بين المشاركين في الحديث على موضوعه، وبيان مراتبهم وأجناسهم، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار التنوعات اللغوية البارزة في كلاهم ».[1]

5- علاقتها باللسانيات النفسية:

إنطلاقا من إجابة فاطمة في المثال المذكور سابقا - في علاقة التداولية باللّسانيات الدلالية- نحدد- الآن- علاقة التداولية باللسانيات النفسية، فالخطوة التداولية تعتمد كثيرًا على جانب شخصيتها بعَدِّها سامعًا وتستندّ إلى سرعة البديهة و حدّة الانتباه، وقوة الذاكرة الشخصية والذكاء وبعض جوانب الطبع، وهي كلها عناصر تشرح ملكة التبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي، ولها تأثير كبير في أداء الأفراد، وبذلك فإن التداولية تعتمد في دراستها على المقولات اللسانية النفسية في هذا المجال.[2]

6- علاقتها باللسانيات التعليمية:

شهدت اللسانيات التعليمية ثراءً كبيرا في العصر الحديث، استنادا إلى مقولات اللسانيات الاجتماعية وإلى بحوث التداولية أساسًا، حيث «تأكد بأن التعليم لا يقوم على تعليم البُنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم بالتعرف على قيم الأقوال وكميات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلم ومقاصده التي لا تتضح إلا في سياقات مشروطة ».[3]

وبذلك، يكون التعليم قد تجاوز مهمة التلقين لتحصيل الكفاءات إلى مهمة تحصيل الأداء بتوفير حاجات المتعلم والاقتصار على تعليمه ما يحتاج إليه، مبتعدا قدر الإمكان عن الأساليب والشواهد التي تثقِّل ذهنه

[1]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 23، 33.
[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 132.
[3]- المرجع نفسه، ص: 133. (بتصرف).

وهذا ما يؤكده " الجيلالي دلاش " بقوله:« هناك شعار واحد يشغل أهل هذا الاختصاص الملكة و التبليغ؛ أي تزويد المتعلم أو المتعلمين بالأدوات التي تمكِّنهم من التحرك بواسطة الكلام تحرّكًا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها. إن الأمر لم يعد يتعامل بتلقين بِنية نحوية معينة بل إنه يتعلق بتوفير الوسائل اللسانية التي تسمح للمتعلم بإجراء اختيارين بين مختلف الأقوال وذلك حسب المقام ».[1]

ومفاد القول أنَ اللسانيات التداولية ساهمت بشكل كبير في صناعة التعليم،وذلك بالدعوة إلى ضرورة استثمار القواعد والقوانين اللغوية حسب ما تتطلبه المواقف الكلامية؛ أي أنه يعطي الأسبقية لمفهوم التبليغ على اللغة.

7- علاقتها باللسانيات النصية وتحليل الخطاب:

في ظل ترجمة الركام المعرفي الناتج عن كثرة الأبحاث، ورواج المفاهيم ذات الاستهلاك الواسع، تداخلت المصطلحات والمفاهيم فقد: « يُسمع بمصطلح اللسانيات فيظن أنها العلم الصارم الذي يدرس اللغة دراسة علمية»[2]، وقد يسمع بمصطلح الأسلوبية فيعتقد: « أنها ذلك العلم الذي يصنع منهجية صارمة في دراسة الظاهرة الأدبية، ويرمي إلى تلخيص النص الأدبي عمومًا، والخطاب خصوصا من الأحكام المعيارية والذوقية ».[3]

وهذا ما نلاحظه مع مصطلح الخطاب ومصطلح النَّص، فهما مصطلحان لا يكاد يختلفان وربما يرادفه في بعض الاستعمالات، وإن كان في الخطاب إيجاد بأن النص يتجاوز كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية إلى الظروف المقامية. [4]

[1]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 46.

[2]- رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2007، ص: 83.

[3]- المرجع نفسه، ص: 83.

[4]- ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب ط1، 2001، ص: 16.

والخطاب « أكثر دلالة على الاستعمال والاستخدام من النص، وتتجاذبه الدراسات اللسانية إلى جانب السيميائية والأدبية، و هو بهذا المفهوم حقل للسانيات النصية؛ لأنه يقوم على دراسة الاستعمال الفعلي للغة من خلال متكلمين فعليين، في مقامات فعلية ».[1]

وهكذا، توسع مجال اللسانيات النصية بتجاوزه دراسة الخطاب باعتباره نصٌّ يرتبط بالظروف المقامية والسياقية التي ورد فيها، وهذا من صميم البحث التداولي.

8- علاقة التداولية بالحجاج:

تعرف البلاغة بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور، فالبلاغة درس لغوي ظهر مند القديم حيث يسميها القدامى فن الجدل (طريقة النقاش والحوار، عبر الأسئلة والأجوبة)، خاصة المتعلقة بالمسائل الظنّيّة، وعلى هذا الأساس سميت نظرية الحجاج بالبلاغة الجديدة؛ لأن أرسطو ورغم الصلة التي يعقدها بين البلاغة والجدل، فقد طوّر البلاغة على أساس المستمعين والمخاطبين. [2]

ومن هذا المنطلق، فإنّ منزلة الحجاج في التداولية بوصفه أحد أهم أركانها إلى جانب نظرية الأعمال اللغوية ، وقد أُعطيَ الحجاج اعتبارا كبيرا في الدراسات التداولية خاصة في سنوات الثمانينات من القرن العشرين وتشهد على ذلك البيبليوغرافيا وتوضحه المفاهيم، إذ يجمع " جون بليز غرايز " بين المنطق والحجاج أما "روبار

[1]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 134.

[2]- ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص: 15.

مارتان " فيدمج مفهوم ممكن الوقوع في نظريته الدلالية، وقد عاد " أوزفالد ديكرو " أخيرا إلى مفهوم المواضع لوصف آليات اللغة الحجاجية.[1]

ويؤرِّخ بعض الباحثين للدراسات الحجاجية بالرجوع إلى " بيرلمان " و " تيتيكان " حيث تُطلق كلمة (argumentation) على العلم وموضوعه ومفادها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم وربما كانت وظيفته تتمثل في:« محاولة جعل العقل يُذعن لما يطرح عليه من أفكار أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فيبعث على العمل المطلوب، على أن الحجاج مثلما أنه ليس موضوعيًا محضًا فإنه ذاتيا محضًا ».[2]

ويمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثمَّ سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثًا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال التي تنتمي إلي البيئة اللغوية الحجاجية، وسيكون الحجاج مؤطَّرًا بالخاصية اللسانية الشكلية وليس بالمحتوى الخبري للقول الذي يربط القول بالمقام، ولما كان الأمر كذلك فإنّ تركيز التداولية يَنصبُّ على العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب والأدوات اللسانية المحققة له.

ومن خصائص الخطاب الحجاجي الذي يميزه عن البرهان والاستنتاج إن كان النقص أو الدّحض؛ مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أمراً نسبيًا بالنسبة إلى المخاطب.

[1]- ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج ص: 16 (بتصرف).
[2]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص: 47.

8- 1- وظائف الحجاج:

يتوافق مصطلح الحجاج مع مصطلح البيان في البلاغة العربية القديمة، ويظهر هذا من خلال وظائف البيان الثلاثة التي ذكرها محمد العمري في كتابه:

« أولاً: الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية: ويكون المستمع في حالة حياد ويكون إظهار الأمر هنا على وجه الإخبار قصد الإفهام.

ثانيا: الوظيفة التأثيرية: وفي هذه الحالة يكون المستمع في حالة اختلاف مع المتكلم، ويقدم الأمر هنا على وجه الاستمالة.

ثالثا: الوظيفة الحجاجية: وحالة المتكلم مع المستمع هنا في حالة خصام ويظهر الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار وهو الإكراه إلى حد ما ».[1]

8-2- أنواع الحجج :

يعتمد المتكلم على الحجة المناسبة لإقناع المستمع، ومدعمًا ذلك بحجج كثيرة تخدم الحجة المناسبة تحسّبًا لأي اعتراض أو حجاج عكسي من المستمع، لتكون الحجة هي الملجأ الوحيد للمتكلم لبلوغ هدفه في استمالة المتلقي وإقناعه، لذلك وجب اختيار الحجة المناسبة التي تدعم ما يقدمه المتكلم من مقدمات لإقناع المتلقي.

وعلى هذا الأساس فإن الحجاج ينقسم بدوره إلى أنواع عدة نذكر منها:

[1]- محمد العمري: البلاغة العربية وأصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996، ص: 212.

1/ الحجة المنطقية: تعتمد هذه على كسب القوة الاقناعية من "بعض البُنى المنطقية مثل: التناقض، التماثل التام أو الجزئي وقانون التعدية ".[1]

2/ الحجج المؤسسة على بِنية الواقع: هي التي يعمد فيها المتكلم إلى جعل أحكامه مثبتة ومقبولة، كالمسلَّمات حيث يسعى إلى جعلها موحدة "بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلّم بالأخرى ".[2]

3/ الحجج المؤسسة لبِنية الواقع: وهي "تأسيس مواقع بواسطة الحالات الخاصة، المثل l'exemple الذي يؤثر به لتأكيد الفكرة المطروحة، ويلحق بالمثل الاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السُّلطَوية على المخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات القَوَاد الخالدين "[3] وتتصل هذه الأنواع بالحجاج التواصلي الذي جاء به بيرلمان .

كما تصنف الحجج بالنظر إلى أدواتها:

4/ حجة التبرير: وأداتها " بما أن "[4] وتعتمد على المسلّمات اليقينية للحجاج بمقدمات أقل يقينية من المسلّمات وقد يقتنع بما المستمع وقد لا ينجح في ذلك، وتعد أداة تبرير الحقيقة المسَّلم بها أولاً لتصل إلى النتيجة.

5/ حجة الاتجاه direction: وغرضها التحذير حيث توجه المستمع على التحذير من القيام بفعل أو القيام به.

6/ الحجة التواجدية: يمكن أن نسميها بحجة السلطة " وتُبنى على علاقة الشخص بعمله " [5] وفيها يتحول المتكلم إلى سلطة.

[1]- محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان،ط01 2008،ص:128.

[2]- المرجع نفسه، ص: 131.

[3]- المرجع نفسه، ص: 131.

[4]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص: 48.

[5]- المرجع نفسه، ص: 48.

7/ الحجة الرمزية: تؤثر قوة الرمز «في الذين يقرون بوجود علاقة بين الرمز والمرموز إليه كدلالة العلم في نسبته إلى وطن معين ».[1]

8/ حجة المثل: والغاية من اعتماد المثل في الحجاج « أو التأسيس للقاعدة والبرهنة على صحتها ».[2]

9- الحجة التاريخية: وفيها يعمد المتكلم إلى حدث تاريخي أو ظاهرة ليقنع المتلقي بصحة دعواه وتكون هذه الحجة رابطة للنتيجة.

10- الحجة الطبيعية: وتعتمد على العقل والمعارف الواقعية.

11- الحجة المضادة (المعاكسة): وتكون في الحوار وهو حدس يستعمله المتكلم في حالة رفض السامع مقدماته، وعندها يكون المتكلم مستعدا لوضع حجج مضادة للمتلقي.

رابعا: مهام التداولية

تجاوز الدرس اللساني فكر الوظيفة الأُحادية للغة وهي الوظيفة التواصلية، إلى فكرة تعدد هذه الوظائف من مثل: الوظيفة التأثيرية، والحقيقة أنَّ تعدد وظائف اللغة نشأت قبل ذلك بكثير، وبالضبط مع " رومان جاكبسون " في مخططه التواصلي « الذي ضم ست وظائف: الوظيفة التعبيرية، الوظيفة الإفهامية، الوظيفة الإنتباهية، الوظيفة المرجعية، ووظيفة ما وراء اللغة، وأخيرا الوظيفة الشعرية». [3]

ويمكننا أن نلخص المهام التي تكفلت بها التداولية في الكلام الآتي:

[1]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج ، ص: 48.

[2]- المرجع نفسه، ص: 48،49.

[3]- رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومازن حنون، ، ، الدار البيضاء، توبقال ،المغرب، ط1، 1988، ص: 33.

– دراسة " استعمال اللغة " بدَلاً من " دراسة اللغة " حيث اهتمت اللسانيات بدراسة اللغة أي؛ دراسة المستويات الصوتية، والتركيبية، والدلالية متجاوزة التداولية إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة؛ أي باعتبارها:

« كلامًا محددًا صادرا من " متكلم محدد " وموجها إلى" مخاطب محددًا " بلفظ محددًا في " مقام تواصلي محددًا " لتحقيق " غرض تواصلي محددًا "».[1]

ومن مهامها أيضا التي ما ذكرته " سامية الدريدي " على أنها: « دراسة استعمالات الكلام، وتبحث في مطابقة الأشكال دراسة السياقات المرجعية، ودراسة استعمالات الكلام كظاهرة استدلالية، وتداولية في الوقت ذاته هي نظام لساني فرعي يهتم تحديدا باستعمال الكلام في التواصل ».[2]

ويذكر مسعود صحراوي أنها:

1- « شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات .

2- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشرة وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

3- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات ».[3]

وعلى هذا الأساس يمكن أن نلخص أنشطة التداولية فيما يلي:

من أبرز الأنشطة التداولية دراسة " استعمال اللغة " عوض " دراسة اللغة " كما سبق الذكر فاللسانيات تتفرع لدراسة اللغة بمستوياتها الصوتية والتركيبية وربما الدلالية، وتحولت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانية البِنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد في حين أن دراسة استعمال اللغة لا تنحصر

[1]– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء والعرب، ص: 26.

[2]– سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، (بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، ط1، 2001 ص: 16.

[3]– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 27.

ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البِنيوي الضيق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

ومن أبرز أنشطتها: دراسة الأبنية المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، فالتداولية تقيم روابط وشيجة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي ، حيث تقوم بدراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي فتقيم بذلك روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل.

خاتمة المدخل

من خلال ماتقدم في التعاريف اللغوية نلاحظ أن مصطلح التّداولية يرجع إلى الجدر(دَوَلَ) والتي من معانيها التحول والتغير والتبدل كما قلنا سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى ، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغير والتبدل والانتقال، فجاءت التّداولية كرد فعل على المدرسة البنيوية التي ألغت الجوانب الخارجية من النص، واعتبرته الوحدة الأساسية في الدراسة دون الاستعانة بالظروف الخارجية المحيطة بإنتاج النص الأدبي التي تعين الباحث على فهمه.

التداولية مجال يعتد به في الدرس اللغوي مند العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن دافع عنها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أكسفورد وهم:جون أوستين ،سيرل وبول غرايس ،كما أنّ اللّسانيات التّداولية تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى كعلم الدلالة واللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات النفسية وتحليل الخطاب(....)الخ.

وفي النهاية نخلص إلى أنّ التّداولية مبثوثة في تراثنا العربي لكن ليس بشكل منهجي كما هو الحال عند الغربيين.

الفصل الأول

تجليات الأبعاد التداولية في الرسالة الهزلية لابن زيدون الأندلسي

أولا- الإشاريات

ثانيا- أفعال الكلام

ثالثا- الحجاج

عتبة:

اهتمت الدراسات التداولية بجوانب متعددة من الخطاب، و يمكن إرجاع هذه الجوانب إلى خمسة مسارات تتضمن كل منها عددًا من الدراسات وهذه المسارات ترتب كالآتي:

الإفتراض المسبق ، الإستلزام الحواري ،الإشاريات، الأفعال الكلامية، والحجاج،لكننا سنركز على الثلاثة الأخيرة منها فقط.

أولا: الإشاريات في الرسالة الهزلية

1- سبب تأليف الرسالة:

الرسالة التي سنتناولها بالدراسة للرسالة الهزلية وهي رسالة كتبها ابن زيدون على لسان ولاّدة، كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء العرب الأمويين المنسوبين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالدّاخل ، من بني عبد المالك بن مروان، تسمى(ولاّدة) بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابُها بعد نكبة أبيها؛ وتغلب ملوك الطوائف عليه، وصارت تجلس للشعراء والكتّاب وتعاشرهم وتحاضرهم يتعشقها الكبراء منهم وكانت ذات خلق حسن وأدب ونظم جيد[1]، وكانت تكتب إلى (ابن زيدون)[2] وهي راضية عنه تقول في بعض أبياتها:

[1]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 23.

[2]- ابن زيدون، هو أو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن المخزومي الأندلسي، المشهور بابن زيدون، ولد بقرطبة (1003م) في خلافة هشام الثاني، وقد نشأ ابن زيدون في بيئة مثقفة وكان أبوه من وجهاء قرطبة وأغنيائها وفقهائها، فأحضر له الأدباء والمربين يسهروا على تنشئته، ولكن مات والده عندما كان في الحادية عشر من عمره فاهتم به جده لأمه فتثقف ثقافة حسنة ونظم الشعر باكراً. توفى ابن زيدون في اشبيلية ودفن فيها سنة (1070م) (463م) تاركاً ديواناً شعرياً باكراً ديواناً شعرياً في الغزل والرثاء والوصف والشكوى والعتاب والمديح والاعتذار.

ترقَّب إذَا جنَّ الظلام زيارتي فإنّي رأيت اللّيل أكتم للسرِ [1]

وكان سبب قولها فيه هذا الشعر، أنه اتهمها بالاتصال مع الوزير أبي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار، فكان (ابن زيدون) كثير الشغف بها، والميل إليها، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ،ثم إنّ الوزير أبا عامر بن عبدوس أيضا هامَ بها وكلف بعشرتها، وكانت(ولاّدة)كثيرة العبث به، ولها معه نوادر ظريفة. [2]

ومرَّت يومًا بداره، وهو جالس وأمامه بركة تتولّد من مواصي وأقدار وحوله جماعة من أصحابه، فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفَّقا فكلاكما بحر .[3]

وقد نقلت(ولاّدة)هذا البيت نقلاً حسنًا من المدح إلى الهجاء، وكان كثيرًا من يبغي التفرد بها وفي ذلك يقول (ابن زيدون):

وغرّك من عهد ولّادة سراب تراءى وبرقُ ومَضْ.[4]

وعليه،كان ل(ابن زيدون) سبب لإنشاء هذه الرسالة ،في أنّ (ابن عبدوس) لما سمع بها أرسل إليها امرأة تستميلها إليه. « وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد به والمعنى من البيت، وغرّك من مودة(ولاّدة)سراب مضلل تراءى وبرق ومض »[5].فلذلك أنشأ (ابن زيدون) يقول هذه الرسالة البديعية جوابًا له على لسان ولاَّدة.

وأخيراً نخلص إلى أنّ هذه الرسالة بلغت كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق، إلى أن انتقل (ابن زيدون) إلى إشبيلية ومات بها.

---

[1]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص:23.

[2]- المرجع نفسه ،ص:23. (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص: 24.

[4]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 149.

[5]- المصدر نفسه، ص: 149.

2- الإشاريات والتطبيق على آلياتها النظرية في الرسالة:

تشمل الإشاريات أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر وظروف المكان والزمان، وهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلاَّ في سياق الخطاب، فهي عامل هام في تكوين بنية الخطاب وذات دور هام في الإحالة إلى المعلومات.

ويقول عبد الهادي الشيهري مؤكدا هذه الفكرة بقوله: « الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه».[1]

ومن الباحثين من يرى أنّ الإشاريات لا يتحدد مرجعها إلاَّ في سياق الخطاب؛ « لأنها خالية من أي معنى في ذاتها لذلك كان العرب قديمًا يطلقون عليها المبهمات ».[2]

يمكن أن نرى النقيض من هذا القول، في أنّ العلامات اللغوية لديها معنى في ذاتها، ولكن غالبًا ما تأخذ معنى إضافيًا في السياق، وحتى يكون الخطاب ناجحًا يجب أن يكون المخاطب عالماً بقصد وإحالة الألفاظ، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة.

إذن، فالمتكلم يشكل المركز الذي يمكن أن يحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي لأطراف الخطاب.

ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشاريات التي تشترك في خاصية واحدة؛ وهي أنّ معناها لا يتحدد إلاَّ عند الاستعمال، وسنلجأ لتوضيح المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف، محاولين استخراجها من الرسالة الهزلية لـ (ابن زيدون) وهي:

الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الخطابية، الإشاريات الاجتماعية.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، ص: 81.

[2]- عيد بلبع: التداولية البعد الثالث في سيميوثيقا موريس، مجلة فصول، عدد 66، ربيع 2005، ص :41.

2-1- الإشاريات الشخصية:

تشمل الإشاريات الشخصية ضمائر المتكلم، والمخاطَب والغائب، وهذه الضمائر عناصر إشارية؛ لأنّ تحديد مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، كما أكد محمود أحمد نحلة بقوله: « إنّ أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص (person) هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشّخصية الدالة على المتكلم وحده مثل: (أنا) ،أو المتكلم ومعه غيره مثل: (نحن) .والضمائر الدالة على المخاطب مفرداً أو مثنى أو جمعا مذكراً أو مؤنثاً، وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية » .[1]

وليس من شك لأنّ الضمير (أنا) و (أنت) ونحومها له دلالة في ذاته على المتكلم أو المخاطب لكن السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطَب الذي يحيل إليه الضمير (أنا) و(أنت) . أما ضمير الغائب « فيدخل في الإشاريات إذا كان حراً؛ أي لا يُعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عُرِف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات، ولا يدخل في الإشاريات الضمير غير الشخصي» .[2]

على أساس ما تقدم ذكره يمكننا الوقوف على الإشاريات الشّخصية التي وجدناها في الرسالة الهزلية؛وهي: ضمائر الغائب والمخاطب .فقد تكرر بشكل لافت ضمير المخاطَب (أنت) الذي يعود في سياق الرسالة على (ابن عبدوس).

كما ورد الضمير المخاطب (أنت) في مواضع كثيرة على طول الرسالة فنجده مثلاً في بداية الرسالة « وما قصَّرت في النيابة عنك، زاعمةً أنّ المروءة لفظ أنت معناه ».[3]

والملاحظ في هذه العبارة أن العنصر الإشاري الشخصي (أنت) يعود على (ابن عبدوس)، وذِكر هذا العنصر الإشاري الشخصي، ثم بذِكر المرأة التي أرسلها لولاَّدة،وذلك من أجل وصفه بمجموعة من الصفات الحميدة التي يتميز بها (ابن عبدوس) فأوردها (ابن زيدون) في طابع تهكمي سخري يستهزئ فيها من (ابن عبدوس)

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 17.18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 638.

نجد تهكمه الواضح كما قال: " زاعمةً " فهي تدل على التّظاهر بشيء ،وهو ليس من خصاله « فالمروءة تمام المرء كما أن الرجولية كمال الرجل والإنسانية تمام الإنسان »[1]؛ أي أنّ(ولاّدة)زعمت في حديثها أن المروءة تجسمت في (ابن عبدوس) والحقيقة أنّ المروءة ليست من خصاله.

واستخدام (ابن زيدون) العنصر الإشاري (أنتَ) للتأكيد على المخاطَب بأنه (ابن عبدوس) لا غيره أي أنه من المؤكد أن المروءة ليست من خصالك يا (ابن عبدوس) وأنت لا تجسدها بل لا تمد لها بصلة، ولن تصل الدرجة التي أعطتك إياها خليلتك مهما حرصت على ذلك.

كما نجده يكرر العنصر الإشاري نفسه في الجملة الموالية في قوله:« والإنسانية اسم أنت جسمه وهُيولاه »[2] فالمقصود من الجملة أن المرأة التي أرسلها (ابن عبدوس) ترى أنّ الإنسانية قد تجسّمت فيه بمعناها ومبناها وأنه يمثل بالنسبة لها المثَل الأعلى كما في قوله:« نظرية المثَل التي ناد بها أفلاطون والتي خلاصتها أن الأجسام المادية تقليد للعالم المثالي المعنوي الأزلي».[3]

ولهذا قال: « هيولاه والهيولى:الصورة المعنوية التي يُصَبُ الجسم على مثالها »[4] ؛ أي أن العنصر الإشاري يعود على (ابن عبدوس) وتكراره يفيد بالدرجة الأولى التأكيد والإثبات لتلك المواصفات التي تراها خليلته فيه، فهي تصوّره بأنه يجسد المروءة وهي كمال الصفات الإنسانية كما تصوّره بأنه المثَل الأعلى للإنسانية، وهذا راجع لكونها تحبه ولا ترى سوى محاسنة، حتى توصلت بأن تراه بمحاسن لا يملكها أبداً، فاستعمل (ابن زيدون) تلك المحاسن للتهكم والسّخرية من (ابن عبدوس) بها عليه.

[1]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 46.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 636.

[3]- المصدر نفسه، ص: 636.

[4]- المصدر نفسه، ص: 636.

كما أورد (ابن زيدون) العنصر الإشاري الشّخصي (أنت) في الرسالة من خلال قوله: « فيحن قِدحُ ليس منها ما أنت وهم؟ وأين تقع منهم؟ »[1] ،فالملاحظ أنه استخدم العنصر الإشاري في موقع ليدل به على اختلاف من يشير إليه هذا العنصر الإشاري، حيث نلاحظ أنه مستثنى من المجتمع الذي يفتخر به وهو ليس منه، ويَدَّعي أنه حامل لصفاتهم الحميدة وهو لا يحملها ولذلك نلاحظ أنّ (ابن زيدون) قد ضرب له مثلاً يؤكد بأنه ليس أهلاً لتلك الطباع بقوله: « فيحنّ قِدح ليس منها وهو مَثَلُ يُضرب للرجل الذي يفخر بقبيلة ليس منها أو يمتدح بما ليس فيه »[2].ويؤكد هذه الفكرة في الجملة الموالية: « وهل أنت إلاَّ واو عمرو فيهم »[3]؛ والمعنى أنّك لست منهم فأنت مثل الواو التي تلحق في الكناية باسم عمرو وليست من حروفه،وهؤلاء القوم الذين يفتخر بهم وهو ليس منهم وأنّ ما امتدحته به حبيبته هي خصال ليست فيه.

من كل هذه الأمثلة السابقة يعود العنصر الإشاري الشخصي (أنت) على (ابن عبدوس)؛ لأنه المقصود من هذه الرسالة؛ ولأنّ مقام كتابة هذه الرسالة يخص (ابن عبدوس) الذي حاول أن يكون منافسًا لـ (ابن زيدون) في عشيقته وهو عالم بأن (ابن زيدون) يحبها فعندما أرسل امرأة تستميلها إليه، حينها قام (ابن زيدون) بإرسال هذه الرسالة على لسان(ولاّدة)يتهكم فيها من (ابن عبدوس)، وذلك من خلال هذه الرسالة اتضح لنا بأنه يقول كلامًا ويقصد به معنًى آخر غير الذي يقول.

كما ورد ضمير الغائب (هم) في قوله: «الذين هم الكواكب علوَّ هِمم ».[4]

فالعنصر الإشاري (هم) يعود على الأقمار والريحان، أما معناها في سياق الرسالة الهزلية: هو وصف قوم بجمال الخلقة ومرادها بهذه الصفات التعريض بذكر (ابن زيدون) وأمثاله وغرضها من ذلك مدح (ابن زيدون) وأمثاله وذم (ابن عبدوس) والتهكم عليه.

---

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 667.

[2]- المصدر نفسه، ص: 669.

[3]- جمال الدين بن نباتة المصري:سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون،ص:423.

[4]- المرجع نفسه، ص: 423.

كما ورد ذكر عنصر إشاري آخر (هم) في قوله: « فحن قدح ليس منها، ما أنت وهم؟ وأين تقع منهم» .[1]فالعنصر الإشاري (هم) في سياق الرسالة يعود على القوم الذين يتشبه بهم (ابن عبدوس) وهو ليس منهم في خصاله وشيمه وهذا مَثَلٌ يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويمتدح بما ليس فيه.

وخلاصة القول، إن الهدف من استعمال الضمائر بالدرجة الأولى الاختصار وتفادياً الوقوع في التكرار فالغرض من استعمال العنصر الإشاري (أنت) هو التأكيد على شتم وذم (ابن عبدوس)، وهنا يقوم بتجسيد التأشير الشخصي بجلاء، والذي يقسم على أساس ثلاثة أجزاء ممثلا:

ضمير الشخص الأول (أنا) وهو المتكلم، والمتكلم في الرسالة الهزلية هو (ابن زيدون) على لسان عشيقته (ولاّدة) أي أنّ الرسالة كتبها (ابن زيدون) على لسان ولاَّدة، فالمتكلم الحقيقي هنا هو (ابن زيدون) والمتكلم المتخيل عند قراءة الرسالة هي ولاَّدة.

أما ضمير الشخص الثاني (أنت) هو ضمير المخاطَب والمخاطَبُ في هذه الرسالة هو (ابن عبدوس).

أما ضمير الشخص الثالث (هم) هو ضمير الغائب وهو متغير الدلالة على طول الرسالة فيعود مرة على قوم حسنت وجوههم وأخلاقهم وهم قوم (ابن زيدون) وأمثاله ،ويعود مرة على القوم الذين تشبه بهم (ابن عبدوس) وهو ليس منهم في خصاله .

الملاحظ من خلال ما تقدم: إنّ هدف استعماله للشخص الثالث ضمير الغائب (هم)، الاستعانة به في ضرب الأمثال من أجل شتم وذم (ابن عبدوس) والمدح والثناء على (ابن زيدون) ومن يتصفون بخصاله وشيمه.

[1]– جمال الدين بن نباتة المصري:سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص : 422.

2-2- الإشاريات الزمانية: (temporal deictics)

الإشاريات الزمانية هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التّلفظ، فإذا لم يُعْرفْ زمان التّكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

وتأسيساً على ذلك، فإنّ الإشارة إلى الوقت الذي ينطق خلاله المتكلم قوله يعود للوقت الذي يسمع فيه صوت المتكلم، فمثلاً: استعمال صيغة (الآن) في الوقت الحاضر واستعمال (أنداك/ حينئذ) في الوقت الماضي، كما أنه يمكننا استعمال الإشاريات غير الزمانية (non- temporal refecence) مثل: وقت التقويم (التواريخ) من مثل: (14، 08، 1984) وتوقيت الساعة. [1]

في الحقيقة، إن صيغ الإشارة الزمانية كثيرة نذكر منها: البارحة، غداً، الأسبوع القادم، الأسبوع الماضي، هذا الأسبوع (....)الخ، وتعتمد هذه التعابير في تفسيرها على معرفة وقت الكلام.

ومن شرفة ما تقدم يمكن الوقوف على الإشاريات الزمنية التي التمسناها في الرسالة الهزلية: استعمل صاحب الرسالة إشاريتي الزمان (غداً) و (أمساً) في قوله:« وأعدت السّلام رطبةً، ونقلت غداً فصار أمساً » [2]، فمن سياق الرسالة نفهم أنَّ الأمس لا يصير غداً ،والمعنى من ذلك أنّك لو شئت قلبت الأشياء إمّا قدرة ، وإمّا تسمية يقتدي الناس بك فيها، أما العنصر الإشاري (غداً) فهي تفيد في الإشاريات الزمنية الإشارة إلى المستقبل، أما (أمسًا) فتفيذ في الإشاريات الزمنية الإشارة إلى الماضي.

كما استعمل أيضا إشارة زمان أخرى في الرسالة، ويتمثل ذلك في قوله:

« على أَنَّها الأيَامُ قَد صرِّن كلَّها عجائبُ حتّى ليسَ فيهَا عجائبُ ».[3]

فمن سياق الرسالة نفهم بالأيام (الأيام) التي أصبح يعيشها وما تحمله من عجائب حيث صارت عشيقته(ولاّدة)تميل أكثر إلى (ابن عبدوس) بعد ما كانت خليلته.

---

[1]- ينظر: جورج يول: التداولية، ترجمة :قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص: 34،35.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 651.

[3]- المصدر نفسه، ص: 654.

كما وردت إشارة زمنية جديدة في قوله: « وهلاَّ عَشَّيتَ ولَمْ تَعْتَرْ وَمَا أَشُكُّ أَنَّكَ تكون وَافدَ البَراجم ».[1] ومعنى عشَّيتَ وفق سياق الرسالة؛ هي المساء.

2-3- الإشاريات المكانية: (spatial deictics):

الإشاريات المكانية هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان وأثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وِجهةً، والإشاريات المكانية هي كلمات الإشارة نحو (هذا) و(ذاك) للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك (هنا) و(هناك) من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، تحت، أمام، خلف (...) ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلاَّ إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. [2]

بناءً على ما سبق، يمكن أن نقدم أهم الإشاريات المكانية التي ورد ذكرها في الرسالة الهزلية، منها ما نجدها في قول (ابن زيدون): « وأَنَّ احْتيالَ هَرم لِعَلقمةَ وعَامِر حتَّى رَضِيَا كَان ذَاك عن إشَارتِكَ ».[3]

نلاحظ من خلال القول أنَّ العنصر الإشاري (ذاك) لا يحيل على المرجع المكاني حقيقة وإنما استخدم للإشارة إلى المحاكمة (المنافرة)[4*] أي أنّه من سياق ما قال قد ساوى بين علقمة وعامر في حكمه فرجعا من عنده راضيين بحكمه.

---

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله،ص:664.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 21،23.

[3]-ابن زيدون:ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص: 643.

*المنافرة: هي التي وقعت بين علقمة بن علاثة بن جعفر بن عامر بن صعصعة، وعامر بن الطفيل بن مالك بن الأحوص وكانت محاكمة في الحَسَبْ والفضل بين الرجلين فكلاهما كان سيداً من سادات قومه، وكان هَرم بن قطبة بن سيَّار والفزاري (هو أيضا حَكَمٌ من حكام العرب) الذي تمّ اختياره كحاكم لهذه القضية؛ لأنه كان يقضي بين السّادات فيرضون بقضائه ولا يردُّ قوله إذا فضّل أحد المتنافرين على الآخر. وكان حُكمه في هذه المنافرة كما أوردها صاحب سرح العيون بأن قال هَرِم « والله إنّكما كركبتي البعير الأدرم يقعان معًا على الأرض وليس أحد منكما إلاَّ وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيّد كريم ، جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 165

ومن شرفة ما تقدم، أنّ (ذاك) لم تستخدم للإحالة على المرجع المكاني بل استخدمت للدلالة على موقف هرم الذي أصدره على الرجلين وقد استخدمت (ذلك) مجازاً، حيث إنها أعطت مكانة عالية جداً ل(ابن عبدوس) وذلك بأن أَمَر سيّدًا من سادات القوم وأعدلهم القوم وأعدلهم (هَرِم) بحكم يتعلق بسيّدي قومين آخرين (علقمة وعامر) وهو في هذا المقام يستهزئ بـ (ابن عبدوس)، حيث إنه لا يمكن أن يملك هذه المكانة.

كما أورد (ابن زيدون) في رسالته إشارة مكانية أخرى حيث قال:

« وقُتَيبَة فتح ما وراء النهر بسعدك »[1]. فالمفهوم من سياق الرسالة أن (وراء) عنصر إشاري مكاني يحيل على الأماكن التي فتحها قتيبة بن مسلم في جملة الأماكن الكثيرة التي فتحها، حتى عَبَرَ إلى ما وراء النهر مرارا وأبلى في الكفار بلاءً عظيماً.

انطلاقا من الشرح الذي أورده صاحب سرح العيون أن العنصر الإشاري في قوله: (ما وراء النهر) مستعمل لاختصار عديد الأماكن التي فتحها قتيبة، فاستعمل ما وراء لاختصارها، ومن هذه الأماكن التي فتحها نذكر: طخاريستان، بَلَخْ، بيكندا وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر ويقال لها مدينة التجّار [2] ،وهي بذلك تعتبر إنجازات لم يبلغها أحد سواه.

وذكر (ابن زيدون) هذه الأماكن ليتهكم بها على (ابن عبدوس) في الشجاعة والضرب في الأرض على (ابن عبدوس) رغم تقلده المناصب العليا في الدولة إلاَّ أنه كان جباناً.

كما ورد عنصر إشاري مكاني في قوله: « ومَتَّى كَثُرَ تَلاَقينَا وَ اتَصَلَ تَرَئينَا، فيدعوني إليك ما دعا ابنة الخُس إلى عبدها، من طول السَّواد وقُرب الوساد؟ »[3].

ومن سياق الحديث في الرسالة يتبين لنا أنّ (ابن زيدون) استعمل العنصر الإشاري المكاني (قرب) للدلالة على المكان، حيث استعملها في سياق حديثه على حادثة الفاحشة التي ارتكبتها ابنة الخسّ مع عبدها وقد تمّ لومها

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 644.

[2]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 186 ، 193.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 665.

شديد اللّوم على فعلتها وقد أورد صاحب سرح العيون في شرحه عن فعلتها، ولما سألوها على سبب فعلتها الشنيعة أجابت بقولها: « قرب الوِسادِ وطُول السَّوادِ، والسَّواد السِّرار يقال: ساودته إذا سارررته، وفي الحديث السّواد من السّحر »[1] كما ألحق بعض الروّاة في قولها: « وحُبّ السِّفاد »[2]، وسبب ذلك أنّ أباها كان قد منعها من الزواج .

ومن سياق الرسالة نستنتج أن (ابن زيدون) استعمل العنصر الإشاري المكاني قرب الوساد وبذلك فهو يتهكم على (ابن عبدوس) على أنه قريب جداً إلى(ولاّدة)ورغم ذلك لن يستطيع أن يطيحها في شباك حبه.

ورد عنصر إشاري مكاني أيضا في الرسالة الهزلية، حيث استعمل (ابن زيدون) العنصرين الإشاريين وهما: اسما إشارة (هذا) و (هذه) كما ورد في قوله: « وهل فقدت الأراقم فأنكح في جنب، أو عضلني همام بن مرة فأقول: زوج من عود خير من قعود ولعمري !!لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطّة، وما رضيت بهذه الخطة فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية، الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها ».[3]

لا يكتفي القارئ بمعرفة الاسم الإشاري لتحديد مرجعيته المكانية ،إذ لابد من الاستعانة بالسياق اللغوي والمقامي لمعرفة ما إذا كان الملفوظ يحيل على المكان أم لا .

والملاحظ من خلال سياق الرسالة أنّ استخدام (ابن زيدون) العنصر الإشاري (هذا) و (هذه)، وهما عنصران إشاريان لا يحيلان على المرجع المكاني، حيث نفهم من سياق الرسالة من خلال قوله: « ولعمري لو بلغت هذا المبلغ ». [4] فهو يشير إلى المبلغ الذي بلغته ابنة الخسّ أو الظروف التي أحاطت بها لارتكاب فاحشة الزنا من قرب الوساد وطول السّواد (السّرار) وهذه إشارة من (ابن زيدون) أنه ومهما توفرت الشروط نفسها، وذلك لا يستلزم النتيجة نفسها، ويؤكد ذلك بقوله: (لارتفعت عن هذه الحطّة) والعنصر الإشاري (هذه) في هذا المثال لا تدل أيضا عن الإشارة المكانية حقيقة وإنما إشارة منه إلى الحطّة أو الفاحشة أو الفعلة التي فعلتها ابنة الخسّ فهو

[1]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 407 .

[2]- المرجع نفسه،ص:407.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص:666،667.

[4]- المصدر نفسه ، ص:666.

يؤكد هنا أنه مهما توفرت نفس الظروف من قرب الوساد وطول السّواد ومنعها من الزواج حتى وقعت في هذه الفاحشة ويؤكد ذلك بقوله: « وما رضيت بهذه الخطة ».[1]

والملاحظ في هذا القول أيضا لم يكن العنصر الإشاري (هذه) دالاً على المكان وإنما دالاً على الخطة ؛أي ابنة الخسّ لجأت إلى خطة الزنا مع عبدها لتعوض الزواج التي حرمت منه، توفر الشروط المناسبة للوقوع في الفاحشة وهي الزنا من قرب الوساد وطول السواد كما قالت فهي تشير على أنها كانت راضية بذلك، أما(ولاّدة)فلن ترضى بذلك وهي تشير إلى ذلك من خلال ما تقدم ذكره واستعمل العنصر الإشاري المكاني مجازاً لتبيين مكانتها العالية المرموقة البعيدة عن الزلل وتلميحًا منها إلى (ابن عبدوس) من خلال المكانة الوضيعة التي يعيشها.

وهنا يؤكد ما قلناه صاحب سرح العيون حين يقول في هذا المقام والمعنى أنه: "لو عضلني همّام وفقدت الأراقم، وكنت كابنة الخسّ لما رضيت لنفسي بك، ولرفعت قدري عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك ».[2]

ومن مواضع استعمال (ابن زيدون) للعناصر الإشارية المكانية، ما نجده في قوله: « ما شككت فيك ولا سترت أباك ولا كنت إلا ذاك ».[3]

من خلال سياق الرسالة نلاحظ أن العنصر الإشاري (ذاك) لم يستعمل للإحالة على مكان وإنما استعمل مجازاً للتعبير عن المكانة الوضيعة التي يحتلها (ابن عبدوس) في نظره ويؤكد هذا صاحب سرح العيون بقوله في شرح القول: « يعني لو تحملت بهذه الذخائر لما تدلس علي أمرك ولا خفي عنّي نسبك الذي أعرفه قبل الآن ».[4]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص:666 .

[2]- جمال الدين ابن نباتة المصري:سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون،ص:412.

[3]- ابن زيدون:ديوان ابن زيدون ورسائله،ص:672.

[4]- جمال الدين ابن نباتة المصري:سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون،ص:473.

4-2 إشاريات الخطاب: (Discourse deictics) :

تعد إشاريات الخطاب من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل: ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثمَّ، قيل (...) الخ، وهذه الإشاريات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق. وقد تستعار إشاريات الزمان والمكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال هذا النص وتلك القصة. [1]

وبهذا تجدر بنا الإشارة إلى أن إشاريات الخطاب قد تلتبس بالإحالة إلى سابق (anaphora) أو لاحق (cataphora) ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات.

والجدول رقم (1): « يلخص لنا مجموعة من العناصر الإشارية المكانية ومواضع استعمالها »[2]:

العنصر الإشاري	موضع استعماله
مهما يكن أمر	تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم فقد يتحير في ترجيح رأي على آخر أو الوصول إلى مقطع اليقين من مناقشة أمر معين.
لكن، بل	عندما يحتاج المتكلم إلى استدراك كلام سابق.
فضلا عن ذلك	عندما يريد أن يضيف إلى ما قال شيئًا آخر.
قيل	عندما يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض.
من ثمَّ	عندما يريد أن يرتب أمراً على آخر.

ومن خلال ما تقدم ذكره يمكن أن نقف على بعض العناصر الإشارية الخطابية التي وجدناها في الرسالة:

[1] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 24.

[2] - المرجع نفسه، ص: 24.

العبارات الدالة على الأفعال التي كان يسعى إلى تحقيقها وقد فشل في ذلك، مستعملاً العنصر الإشاري الخطابي (بل)، وذلك للاستدراك على الكلام السابق حيث إنه لم يُحقق أي شيء مهما كان ينوي تحقيقه كل ما حققه بأن باء بالفشل ويؤكد ذلك بقوله: « بل رضيت من الغنيمة بالإياب »[1]. هو مَثَلٌ كما قال صاحب سرح العيون يضرب لمن قنع بعدما بدل جهداً بالرجوع إلى بيته سالماً ويؤكد هذا بقوله: « وتمنيت الرجوع يخفي حنين »[2] وهو مثل يضرب في خيبة الأمل.

نستنتج من سياق الرسالة الشروحات التي أوردت فيها الحالة التي كانت تسود حياة (ولاّدة) مع (ابن زيدون) و(ابن عبدوس) فنرى أنّ(ولاّدة)و(ابن زيدون) حبيبان و(ابن عبدوس) يريد منافسته عليها بشتّى الأساليب التي كان يستعملها ولم يظفر بشئ من ذلك إلاّ بالفشل،فأورد تلك الأساليب التي كان يستعملها للتوَّدد والتّقرب من (ولاّدة) ثم استعمل العنصر الإشاري (بل) ليؤكد النتيجة التي آل إليها (ابن عبدوس) وسيؤول إليها دائما.

وقد ورد عنصر إشاري خطابي أيضا في قول (ابن زيدون): « وَهَبْهَا لن تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيبها وحسن فيها من تودُ، وكانت إنما حلَّتك بحلالك ووسمتك بسيماك، ولم تعرك شهادة، ولا تكلفت لك زيادة، بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك».[3]

والملاحظ من خلال القول أنّ (ابن زيدون) يستدرك على كلام سابق، وهو كلام يعود على المرأة التي بعث بها (ابن عبدوس) إلى(ولاّدة)وهي خليلته.

فهذه المرأة كانت خليلة (ابن عبدوس) فهي ترى محاسنه وفضائله و لا ترى إلاَّ القلة القليلة من العيوب وقد لا تراها أَصْلاً ولذلك فقد عددت هذه الفضائل لولاَّدة، أما الواقع فهو عكس ذلك تماماً ويتبين هذا في قول

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 653.

[2]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 336.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 654.

صاحب سرح العيون في الشرح: « هَبْ هذه المرأة المرسلة صَدَقَتْ فيما تحدثت به عنك وقالت ما اعتقدته فيك ، فإن منظرك القبيح يغنى عن خبرك ومن الأحاديث المأثورة حبك الشيء يعمى ويصم ».[1]

يتبين من هذا القول أنّ المرأة المرسلة ترى أن حبيبها هو كل شيء في الحياة وأنه فتّان في نظرها وإن كان قبيحاً فوصفته بما امتاز به من طيب الخصال وبذلك تكون صادقة إذا انطلقنا من منظورها ولذلك حكم عليها (ابن زيدون) بالصدق قال: (بل صدقت حسن بكرها فيما ذكرته عنك)، وهذا مثل عربي يضرب في الصدق إذا انطلقنا من منظور وتصور حبيبته، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك تماماً؛ لأن منظره القبيح يغني عن خبره أنّ الحب أعمى المرأة المرسولة وأصمّها، ولذلك تصورها له كان تصوراً من أعلى درجات الكمال ولكن الواقع كان عكس ذلك من خلال ما فهمناه من سياق الخطاب.

2-5 الإشاريات الاجتماعية: (Social deictics)

الإشاريات الاجتماعية هي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية؛ أي علاقة صداقة أو ألفة.

فالعلاقة الرسمية تدخل فيها صيغ التّبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب مثلاً: فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيّد والسيّدة (...) أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد.[2]

وعلى هذا النحو يتبين لنا ما سلف ذكره « فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية ».[3] تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد مادياً أو اجتماعياً أو نفسياً.

---

[1]- جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 346.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 25.

[3]- فرانسواز أرمينكو: مقاربة تداولية، ص: 42.

واستناداً على ما سبق ذكره في الإشاريات الاجتماعية يمكننا أن نقف على بعض منها في رسالتنا:

نلاحظ في الرسالة الهزلية أن العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب هي علاقة غير رسمية وهي علاقة ألفة ومودة وهو حديث إلى شخص من نفس المجتمع وإذا كانت العلاقة غير رسمية فسوف ينعكس هذا في استعمال بعض الضمائر للدلالة على العنصر المخاطب (...) أو النداء بالاسم المجرد، أو اسم التدليل أو نحو ذلك، فضلاً عن التحيات التي تندرج من الرسمية إلى الحميمية مثل: صباح الخير، صباح الفل، صباح العسل (...) الخ ».[1]

وأول ما يلاحظ في بداية الرسالة قول (ابن زيدون): « أيُّها »[2] ، وهو اسم إشارة اجتماعية فهي توحي من أول وهلة إلى أن العلاقة بين المتكلم والمخاطب ليست علاقة رسمية، كما توحي أيضا بأن المخاطب ذليل وأن المتكلم أعلى منه شأناً ومرتبة في حسبه ونسبه الاجتماعي ومنصبه، وأنه من البداية يلمح على أنّه في حالة سخرية وتهكم وذم وغيرها من الصفات القبيحة.

والملاحظ من خلال ما ذكر أن (ابن زيدون) قد استعمل العناصر الإشارية الاجتماعية الدالة على المفرد المخاطب (أنت) خاصة حين نعلم أنّ مقام إيصال هذه الرسالة كان من طرف (ابن زيدون) الذي كان يحب (ولاّدة) بنت المستكفي، وحين سمع أنّ (ابن عبدوس) يتودَّد إليها ويريد كسب قلبها فأصبح بذلك منافسه في (ولاَّدة) فأرسل (ابن زيدون) هذه الرسالة على لسانها يتهجم فيها على (ابن عبدوس) وهذه هي الظروف الاجتماعية التي أنتجت هذه الرسالة وفيها يكون قد استعمل العنصر الإشاري الاجتماعي (أنت) الدالّ على المخاطب بعينه لا غيره وهو (ابن عبدوس)، لأنه أصبح منافسًا لـ (ابن زيدون) في حبيبته التي كان يحبها، وأنه منافسه في السياسة؛ لأن كلاهما وزير، فمن خلال السياق الذي جاءت به الرسالة نلاحظ أن(ولاّدة)كانت حبيبة (ابن زيدون) فهما من المستوى الاجتماعي نفسه ويعرفون بعضهم أصدق المعرفة.

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 26.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 634.

ثانيا: أفعال الكلام: (actes de parole)

I- الجانب النظري:

ولدت نظرية أفعال الكلام في رحاب الفلسفة التحليلية، التي مهّد لها الفيلسوف الألماني " غوتلوف فريجة " وعمّقها فيتغنشتاين (l. willgenstein) في كتابه " بحوث فلسفية "، وفكرته الأساسية " ألعاب اللغة " واستحالة الفصل بين الدلالة والتركيب والتداول، إلاّ أنّ الفيلسوف الأمريكي جون أوستين يعدُّ من الأوائل الذين نظَّروا وأسَّسوا لهذه النظرية التي انطلقت عنده من طرح فلسفي، حيث إنه «يرى أن قول شيء ما هو دوماً إثبات شيء ما؛ أي أنَّ دور اللغة يقتصر على الإخبار عن العالم والقضايا النّافعة هي التي تقبل الصدق والكذب وما عداها ليس سوى أحكام خالية من المعنى، ولدحض هذا الرأي يقدم أوستين نماذج من عبارات لها صيغة الجمل الإخبارية ولكنها لا تصف ولا تثبت حدثا واقعياً، بل يتم بها إنجاز فعل ما ».[1]

ومثال ذلك: " حَكَمَ قاضي التّحقيق ببراءة المتهم " فعند التّلفظ بهذه الجملة، فإننا نلاحظ أنَّ قاضي التّحقيق قد أنجز فعل البراءة، لكنه لم يصف حالة البراءة، ولذلك فإنَّ المتلفظ بهذه الجملة يقوم بإنجاز فعل ما عند التّلفظ.

أمّا الكلام عند الفيلسوف الأمريكي (جون أوستين لا يؤدي معنى دلاليا فحسب، بل يصنع حدثاً في غالب الأحيان، لذلك تصدى للرد على فلاسفة اللغة الوضعية في محاضراته التي ألقاها في جامعة أكسفورد بين سنتي (1952- 1954م).[2]

وكان غير راض أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارة الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا يكون إمَّا صادقاً أو كاذبًا، وينجز المتكلم فعلاً بتلفظه لجملة ما .من هذا المنطلق توصل إلى نظرية أفعال الكلام والمرتبطة باللسانيات التداولية، حيث ميز فيها بين نوعين من الأفعال:

[1]- عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، ط1، 2002، ص: 99.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 42.

1- أنواع الأفعال:

أ- الأفعال الإخبارية: (**constative**): وهي الأفعال التي تخبر عن واقع العالم الخارجي وتحتمل الصدق والكذب. [1]

ب- الأفعال الأدائية: (**performative**): وهي على خلاف الأفعال الإخبارية " لا توصف بصدق أو كذب بل تكون موفقة كما أطلق عليها أو غير موفقة "[2]، وتستخدم لإنجاز فعل: كالتسمية، الاعتذار الترحيب والرهان والنصح، والوعد.

ونأتي بمثالين، وفيهما نوضح الفرق بين الأفعال الأدائية والأفعال الإخبارية:

أ- أعتذر عما صدر مني.

ب- غدا يعتذر التلميذ لمعلمه.

نجد في المثال (أ) الفعل "أعتذر" مضارعاً مثبتاً فاعله المتكلم، وبتلفظه يحصل الاعتذار، أما في المثال (ب) فنجد الفعل "يعتذر" لا يشكل فعل أداء، فالجملة هنا إخبارية تخبرنا ما سيفعله التلميذ غدًا اتجاه معلمه، وقد يحصل الاعتذار وقد لا يحصل.

وعلى هذا الأساس، يرى جون أوستين أن الأفعال الأدائية لا تكون موفقة دائما إلاَّ إذا تحققت لها شروط الملاءمة وهي الشروط اللازمة لنجاح الفعل.

مثال: أنصحك بكذا وأنت تقصد من خلال ذلك تضليله، فقد أسأت هنا أداء الفعل ومن هذه الشروط:

" - وجود إجراء عرفي مقبول وله أثر عرفي معين كالزواج مثلاً أو الطلاق.

- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة.

- أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص: 43.

[2]- المرجع نفسه، ص: 44.

– أن يكون التنفيذ صحيحا و كاملاً.» [1]

هذه من بين شروط الملاءمة لتحقق الأفعال الأدائية، ولا تكون هذه الأفعال موفّقة إلاَّ إذا تحققت هذه الشروط وإذا لم تتحقق كان ذلك إذاناً ونقصاً في الأداء حسب أوستين.

و « حين تبين لأوستين أن تمييزه بين الأفعال الإخبارية والأدائية غير حاسم وأن كثيراً مما تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها، وأنَّ كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأدائية رجع عوداً إلى بدء السؤال: كيف ننجز فعلاً حين ننطق قولاً؟ ». [2]

2– متضمنات القول:

2-1 الفعل القولي: (l'acte locutoire): وهو التلفظ بجملة تفيد معنى انطلاقاً من معنى ألفاظها (فعل القول). [3]

2-2 الفعل الانجازي: (l'acte illocutoire): وهو فعل أمر أو استفهام أو طلب أو تعجب أو نداء (...) الخ إنه فعل ينجز عندما نقول شيئا، وهذا الفعل لا يكون متحققا سطحيا في الجملة (فعل إنجاز). [4]

2-3 الفعل التأثيري: (l'acte perlocutoire): وهو فعل إقناع شخص بشيء، إو إزعاج شخص، أو حمل شخص ما على كلامنا، إنه أثر الفعل الإنجازي. [5]

كما يمكننا أن نقدم مثالاً لتوضيح هذه الأفعال المتضمنة في القول في هذا المثال:" أخرج الزكاة."

* القول: يتمثل في تلفظه بتلك الجملة التي تعني إخراج الزكاة.

* الإنجاز: أنجز المتلفظ أمراً، فقد أمرني بإخراج الزكاة حين نطق بالقول أعلاه.

---

[1]– ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 45.

[2]– المرجع نفسه، ص: 45. (بتصرف).

[3]– المرجع نفسه، ص: 45. (بتصرف).

[4]– المرجع نفسه، ص: 45.

[5]– المرجع نفسه، ص: 46. (بتصرف).

* التأثير: أقنعني بإخراج الزكاة ترغيباً في الجنة وترهيباً من النار وبصيغة أخرى هو الأثر الذي يحدثه الفعل الكلامي في المتلقي.

وهنا، يؤكد جون أوستين أننا عندما نتلفظ بقول نقوم بالأفعال الثلاثة السابقة الذكر دون الفصل بينها، غير أنه وجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي حتى أصبح أساس هذه النظرية، وسميت " بالنظرية الانجازية ".[1]

وبعدها قدم أوستين تصنيفا آخر للأفعال الكلامية حسب قوتها الانجازية ،وجعلها خمسة أصناف:

01- أفعال الأحكام (actes verdictifs): وهي أفعال « تتمثل في حكم يصدره قاض أو حَكَم »[2]، وهذه الأحكام ذات قيمة أو حدث وتدل على التقييم والتقويم، لوصف أفعال التقدير، التبرئة، إصدار المرسوم (...)الخ.

02- أفعال القرارات (actes escercitifs): وهي أفعال تتمثل في اتخاذ قرار ما، أو استعمال السلطة لصالح أو ضد أفعال معينة « كالإذن والطرد، والحرمان، والتعيين ».[3]

03- أفعال التعهد: (actes prom): وهي أفعال تلزم المتكلم بفعل شيء ما (إلزامية المتكلم) بفعل عمل معين مثل: التزم، نذر، وعد، وقسم، وضمن (...)الخ. [4]

04- أفعال السلوك: (actes comportatifs): وتتمثل في ردود فعل اتجاه سلوك الآخرين أو مشاعر نفسية مثل: بارك ،اعتذر، وشكر، ورحّب، وعزّى، ولعن(...) [5].

05- أفعال الإيضاح: (actes escpositifs): وهي الأفعال التي تتمثل في البيان، « وتستخدم في بيان وجهة النظر أو عرض رأي مثل: شكك وصوَّب، واعترض، وفسّر، وأنكر، وأكد (...) الخ».[6]

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 46.

[2]- المرجع نفسه ،ص: 46.

[3]- المرجع نفسه، ص: 46.

[4]- المرجع نفسه،ص:46. (بتصرف).

[5]- المرجع نفسه، ص: 46. (بتصرف).

[6]- المرجع نفسه، ص: 46.

مع العلم أنَّ ما جاء به أوستين لم يكن جديداً بالنسبة للبحوث العربية، حيث بيّنت الدراسات « أنَّ علماء النحو العربي والبلاغة العربية لاحظوا شيئاً عن نظرية الحدث الكلامي المنسوبة إلى أوستين، حيث قسموا الجملة إلى خبرية وإنشائية ووضعوا لكل منها وصفاً نحوياً وبلاغياً ولكن الغربيين قلّما يعترفون للعرب والمسلمين بفضل هذا السبْق العلمي ».[1]

ومما ذكر في بعض كتب البلاغة:

« أنّ الجمهور يقسمون الخبر إلى قسمين هما: الخبر الصادق والخبر الكاذب، الأول ما يطابق حكم الواقع والثاني مالا يطابق حكم الواقع، وذهب بعضهم إلى أنّ الصادق ما يطابق حكمه اعتقاد المخبر، والكاذب مالا يطابق حكمه اعتقاد المخبر ».[2]

وقد بين أوستين أنها لا تشكل الوسائل الوحيدة التي يمكن أن يعتمدها المتكلم أثناء الكلام « فهناك وسائل لغوية أخرى تضاف إلى الأفعال الإنشائية كالحكم (الكيفية) (Mode)، أو التطويح (Accent)، والنغمة (intonation) وعطف النسق (conjonction) وسلوك المتكلم العام (حركاته وإيماءاته) وحال الحديث أو القول».[3]

كانت هذه هي البداية التي وضعها أوستين لنظرية أفعال الكلام، لكنه لم يرض عمَّا قدمه في هذا المجال لوضع نظرية شاملة يعتّد بها، إلى أنْ جَاءَ بعْدَه تلميذه سيرل، حيث أعاد تناول نظرية أستاذه وطورها، فمن أهم ما جاء به: « أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأنّ للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة والنبر والتنغيم وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة، وصيغة الفعل، وما يسمى الأفعال الأدائية ».[4]

---

[1]- شاهر الحسن: السيمانتيكية والبراجماتية، ص: 182.

[2]- جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، حققه وشرحه عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1997، ص: 12.

[3]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 23.

[4]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 47.

إلاَّ أن سيرل لم يكتف بها، بل ذكر أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، فالقول في نظره شكل من أشكال السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد.

وقد حصر سيرل أربع قواعد لشروط الملاءمة هي:

01-« فعل القول : (acte d'énonciation).

02- فعل الإسناد: (acte propositionnel).

03- فعل الإنشاء: (acte performatif).

04- فعل التأثير: (acte perlocutif). »[1]

وقد حاول سيرل أن يحصر أفعال الكلام في اللغة عبر تصنيفه لها في خمسة أنماط رئيسية:

1- الإخبار (Assertives): غاية هذه الأفعال « إسناد المسؤولية للمتكلم عن وجود وضع الأشياء، والغرض الإنجازي في هذه الأفعال هو أنّ ينقل المتكلم واقعة ما، تحتمل أفعال هذا الصنف الصدق والكذب »[2]، وهذه الأفعال تقابل أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام في تقسيم أوستين.

2- التوجيهيات: (Directives): وهي الأفعال التي تمثل محاولات المتكلم توجيه المستمع وجعله ينجز عملاً معيناً وهذا غرضه الإنجازي، ويدخل في هذا الصنف أفعال الطلب والسؤال (النصح، الإذن، الاستفهام (...) الخ. ويقابل هذا النوع في تقسيم " أوستين " أفعال السلوك وأفعال القرارات. [3]

3- الالتزامات: (commissives): فيها يقوم المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل ومع ذلك شرطه الإخلاص وهذا النوع من الأفعال يشترك مع التوجيهات في المطابقة؛ لأن التوجيهيات المتكلم فيها يكون محاولا التأثير في السامع « بينما الالتزاميات مرجعيتها المتكلم، والمطابقة في جعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ».[4]

---

[1]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 26 .

[2]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013، ص :264.

[3]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 71.

[4]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 265.

4- التعبيريات (Escpresives): وهي الأفعال التي تعبر عن نفسية المتكلم « وتقابل هذه الأفعال أفعال الممارسة عند أوستين مع شرط صدقها، ويشترط في الأفعال التعبيرية الإخلاص »[1] ، ومن أمثلتها: أفعال الشكر التهنئة أفعال الاعتذار، والتعزية، الترحيب.

5- الإعلانيات: (Declaratives): وهي الأفعال التي لا تحتاج لشرط الإخلاص ونجاح هذه الأفعال في مطابقة المحتوى القضوي للعالم الخارجي، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال قد تكون: من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، وأهم ما يميز هذه الأفعال أنها تحدث تغيرات في الوضع القائم وهذا الأخير غايتها. [2] وتكون هذه الأفعال حين التلفظ ذاته[3] ،ويدخل هذا الصنف في الأفعال الدالة عن الإعلان.

كما أكد سيرل وجود أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة، وهذه الأخيرة من بين التعديلات التي أدخلها سيرل على نظرية أوستين في تصنيفه لأفعال الكلام:

«1- الفعل المباشر: هو أن يكون مراد المتكلم وما يقوله مطابقا لما يعنيه .

2- الفعل غير المباشر: فهو ما خالف ذلك، حين ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر مما تحمله الكلمات، اعتمادا على الخلفية المعرفية المشتركة بينها سواء لغوية أو غير لغوية »[4]، ومثال ذلك: إذا جاء الطالب متأخراً فبمجرد دخوله يقول له الأستاذ: " كم الساعة؟ " فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية الاستفهام، لكن المتحدث هنا لا يقصد ذلك، بل يهدف من وراء ذلك التوبيخ.

كما نلاحظ متضمنات القول حسب أوستين بأنَّ كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو صحيح فهي توافق على الأقل إنجاز عمل قولّي وعمل متضمن في القول، وتوافق أحياناً القيام بعمل تأثير القول. [5]

إنَّ الملاحظ في جهود سيرل عند « تحديده للشروط التي بمقتضاها يكلل عمل متضمن في القول بالنجاح فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل، وفيها يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها (...) وقاعدة المحتوى القضوي التي تقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل والقواعد الأولية المتعلقة

[1]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 265.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 80.

[3]- ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 100.

[4]- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، ط1، 1996، ص: 52.

[5]- ينظر: جاك موشلر، آن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، تموز (يوليو)، 2003، ص: 32.

باعتقادات خلفية يتمنى من تَلَفَّظ بأمر أن يُنْجَزَ العمل الذي أُمِر به، (...) والقاعدة الجوهرية التي تحدد نوع التعهد الذي قدمه أحد المتخاطبين، وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدد مقاصد المتكلم ».[1]

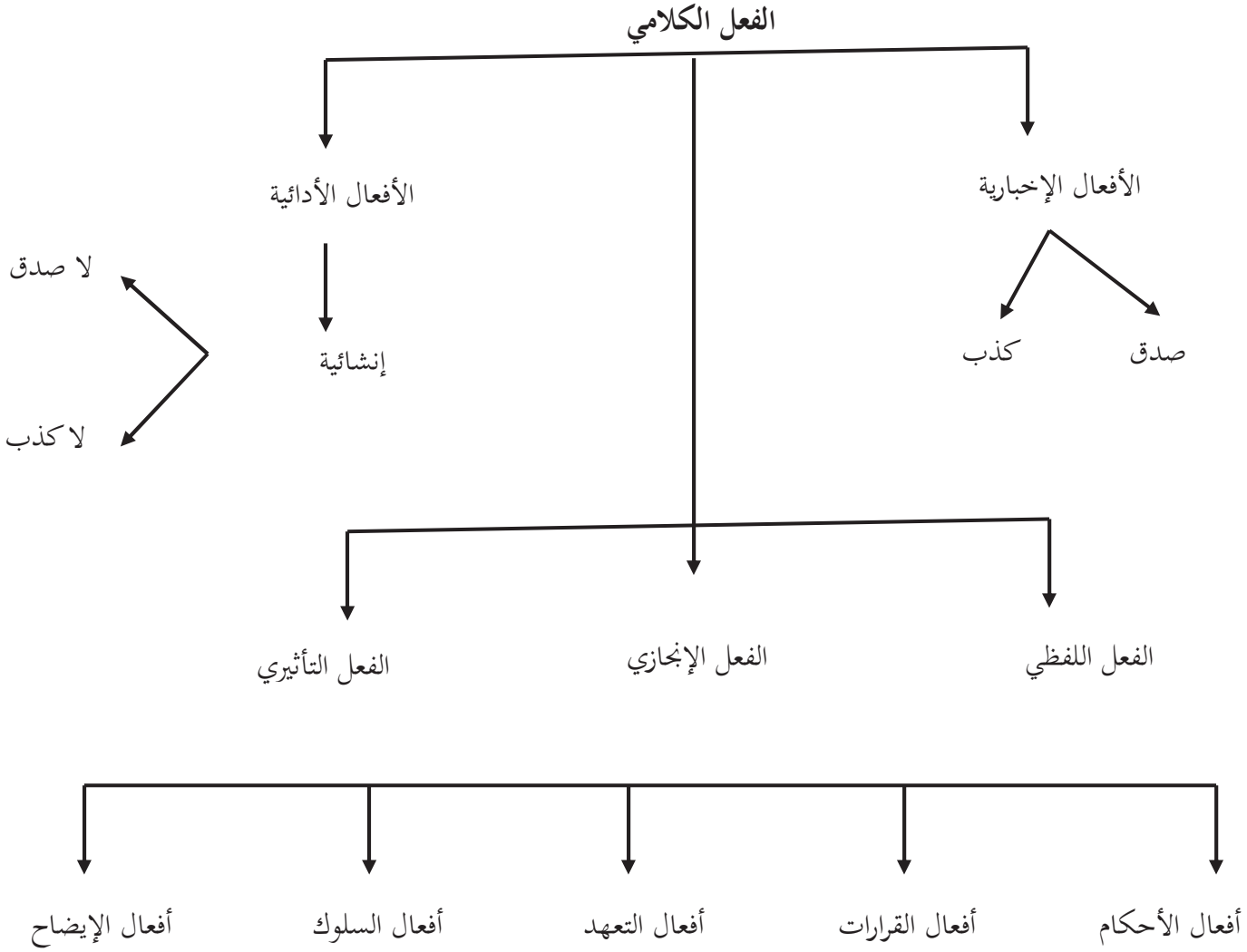

الشكل (01): يمثل الفعل الكلامي عند أوستين [2]

[1]- جاك موشلر، آن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص: 34.

[2]- ينظر: عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 266.

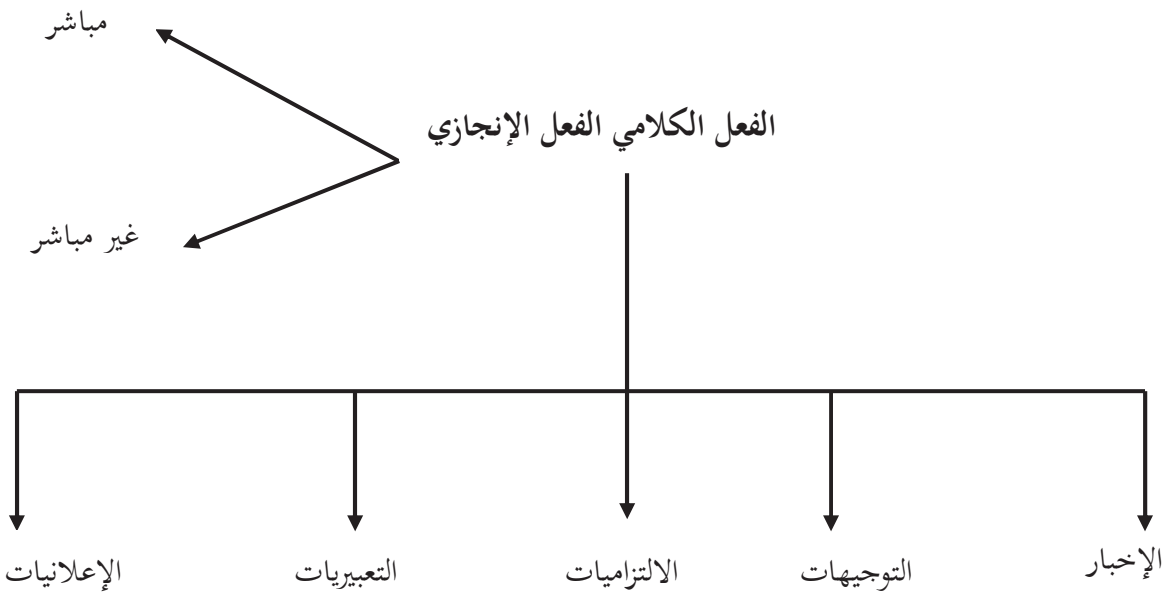

الشكل (02): يمثل الفعل الكلامي عند سيرل .[1]

في الختام، نصل إلى أن نظرية أفعال الكلام تعتبر من أهم محاور الدرس التداولي، ظهرت كنظرية لها قواعدها الفلسفية وضوابطها المنهجية على يد منظّريها " أوستين "، وقام بتطويرها تلميذه سيرل، ومن أهم ما توصلت إليه: أن القول يعتبر بمثابة إنجاز عمل حقيقي.

ومن خلال العرض الذي ذكرناه سابقاً لنظرية أفعال الكلام سنحاول تطبيق ما توصلنا إليه من قواعد وأسس ،وأفكار، وأراء حسب تصنيفات سيرل؛ لأنها الأشمل، ثم محاولة تطبيقها على الرسالة الأولى_ الرسالة الهزلية.

[1]- ينظر: عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 267.

II– الجانب التطبيقي:

1– مقاصد أفعال الكلام في الرسالة الهزلية:

قام " سيرل " بنقل أنموذج الأفعال الكلامية من العالم الفسلفي إلى العالم اللغوي، وأسس في هذا الجانب بماَ يسمى بنظرية الأفعال الكلامية، وفي هذه النظرية تمثل العبارات الخبرية الواقع الموجودَ بشكل مستقل،ونحكم عليها بالصدق أو الكذب، بقدر ما تنجحُ أو تخفق في تمثيل الواقع أما الأوامر والوعود والالتماسات، فإنها تؤثر في العالم الواقعي إلى أن تجعلها تضاهي محتواها؛ بمعنى آخر إنّ أفعال هذه الأوامر والالتماسات تملك اتجاهاً مطابقًا من العالم إلى الكلمة، أما أفعال الشكر والتهنئة وما يماثلها فإنَّ اتجاه مطابقتها للواقع اتجاه فارغ؛ لأنها لا تهدف إلى تغيير العالم.

إنَّ الفيلسوف الأمريكي " سيرل " يقر بأن الأفعال والاعتقادات والمخاوف والآمال والرغبات تحمل طابعاً قصديا ، غير أن بعض حالات الاكتئاب أو الابتهاج غير قصدية، وقد كرّس كثير وقته وأبحاثه لتحليل قصدية الأفعال بكتابه " أفعال الكلام " مع أنه فضّل مصطلح " التمثيل " على مصطلح القصدية وفيما يلي نبيّن دلالات وأنواع الأفعال في الرسالة.

من أجل أن نكشف عن دلالاتها، وهذه الرسالة هي رسالة ذم واحتقار إلى رجل راسل الكاتب عن طريق حبيبته.

أ– الإخباريات: وتعرف هذه الأفعال في نظرية " سيرل " بالأفعال التي تلزم المتكلم بصدق القضية التي يعبّر عنها ولعلَّ من أهم أمثلتها:

أفعال الاستنتاج وأفعال التقرير، وهي كثيرة في رسالتنا هذه؛ لأن صاحبها يحاول قدر المستطاع إثبات ما يرمي إليه وهو شتم وذم المرسل إليه مع إعطاء الحجج والبراهين، ودليل ذلك أن الكاتب استعمل في الغالب الأفعال الماضية الدالة على تقرير الحدث وثباته، كما استعان بكثير من الأشعار والأقوال السائرة في ذلك.

ومن أهم الأفعال الإخبارية في الرسالة قوله: « ولا شكَّ أَنَهَا قَلَتْكَ إذْ لم تَضِنْ بِكَ، ومَلَّتكَ إِذْ لَمْ تَغَرْ عَلِيكَ، فإنَّها أَعْذَرَتْ في السّفارة، وما قصرت في النيابة عنك، زاعمة أنَّ المروءة لفظ أَنْتَ مَعْنَاهُ ».[1]

إنّه يقرر أن الحبيبة ملَّتْ (فعل إخباري) حبيبها، والدليل في ذلك أنها : لم تَغَر (فعل إخباري) عليه كما أنها قَلته (فعل إخباري)، لأنها لم تضِن (فعل إخباري) به ولهذا فهي أعذرت وذلك من أجل الزيادة في تحقير المرسل إليه والاستهزاء به.

راح الكاتب في هذه الرسالة يعدّد كثير من الأفعال الماضية التي تتحدث عن صفات عظيمة تؤكد للسامع أو المتلقي أنّ صاحبها ذو شأن عظيم، مع أنّها في الواقع ليست سوى حطٍّ من قيمته (يعني الحطُ من قيمة المرسل إليه وهو (ابن عبدوس)، فالزيادة في الأمر إنما هو في الواقع عودة به إلى نقيضه، ومن هذه الأفعال في الرسالة قوله: « قَاطِعَةً أَنَّكَ انفردت بالجمالِ، واستأثرتَ بالكمال، واسْتَعلَيتَ في مَرَاتِبِ الجَلاَلِ، واسْتَوليت على مَحَاسِنْ الخِلاَلِ ».[2]

وقوله كذلك: « انفردت بالجمالِ »[3].

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 636.

[2]- المصدر نفسه، ص: 637.

[3]- المصدر نفسه، ص: 637.

« استعليت في مراتب الجَلاَلِ ».[1]

« وضع القوانين (...) أنّك الذي أقام البراهين (...) بَنَى وأعربَ (...) خرقت العادات، خالفت المعهودات، فأحلت البحار عذبةً ».[2]

والغرض الانجازي من هذا الحديث أتى على شكل قالب ممزوج بين السخرية تارة والتحقير تارة أخرى فقد تعمّد الكاتب السخرية من (ابن عبدوس) من أجل الإطاحة به والابتعاد عن حبيبته(ولاّدة)كهدف أساسي.

ب– التوجيهيات: وهي الأفعال التي تمثل محاولات المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما، ومن أمثلتها: أفعال الطلب والسؤال، وهذه الأفعال في هذه الرسالة جاءت قليلة مقارنة بمثيلتها السابقة (الإخبار) ومن قوله:

« كيف رأيتَ لؤمك لكرمي كفاء، وَضعتك لشرفي وفاءَ ! وأني جَهِلْتَ أنَّ الأشياء إنَّما تنجذب إلى أشكالها والطير إنما تقع على أُلاَّفها ! (...) وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان، وقلت: الخبيثُ والطيب لا يستويان وذكرت أني علق لا يباع فيمن زاد (...)، وهل فقدت الأراقم فأنكح في جنبٍ (...) وأين تقع منهم؟ وهل أنت إلاَّ واوعمرو فيهم، (...) ألست تأوي إلى بيت قعيدته لكاع (...) وهل يجتمع لي فيك إلاَّ الخشف وسوء الكيلة ويقترن عليَّ بك إلاَّ الغدة والموت في بيت سلولية ! ».[3]

وهذه الأفعال كلّها هي أفعال سؤال موجهة إلى المذموم المستصغر له الكاتب من أجل المزيد في إدلاله فهو يذكره بأمور منطقية ويأتيه بحجج ثابتة يبين له أنه لا يمكن أن يكون نبيلاً أو سيداً حتى يبعث إليه بخليلته وبالتالي حريّ به أن يسكت ويستكين بقدره الذي جعله وضيعاً خِسيساً.

[1]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 637.

[2]– المصدر نفسه، ص: 637 ،651.

[3]– المصدر نفسه، ص: 637 ،673.

والشاعر الكاتب هنا يرضخ منافسه لأمر الواقع، فعليه أن يقتنع ويعرف قدر نفسه والتراجع عمّا يريد والكاتب أكثر إقناعاً وتأثيراً في متلقيه، فقد حرص على توضيح ما بحوزته من أفكار في أبلغ صيغة حاول ذكر العفة والكرامة، والانتساب إلى أكرم الأقوام وأجودها والإشارة إلى الفوارق التي تفصل بينه وبين ولاّدة.[1]

ومن الأفعال الإخبارية أيضا ما ورد في شكل أوامر كقول الكاتب: « ما كان أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ وتَرْبَعَ عَلَى ظَلْعِكَ، وَلاَ تَكُنْ بَرَاقِشَ الدَّالَةَ عَلَى أَهْلِهَا، وعنز السوء المستثيرة لحتفها ».[2]

فهذه الأفعال التي جاءت في الزمن الماضي إنما هي تأكيد لحقائق وتثبيت لوقائع وصفات وطباع يمتاز بها المرسل إليه، والغرض الإنجازي من حديثه هو دعوته إلى الالتزام بها؛ لأنها الأصلح والأنسب له.

جـ- الالتزاميات: وهي التي تلزم المتكلم بالقيام بسلسلة من الأفعال المستقبلية، ومن أمثلتها أفعال العرض والوعد والوعيد، وهي قليلة جداً في هذه الرسالة، لأن الكاتب لا يريد أن ينزل إلى مرتبة مرسله، ويساوي نفسه به، ولهذا وإن كان في كلامه ما يوحي بنوع من الوعيد غير أن يستنكف أن يخرج إلى ذلك مباشرة، بل يجعل الأفعال الدالة عليها تكتسي ثوب التقرير.

ولهذا جاءت أغلب الأفعال ماضية وخرجت إلى أغراض متعددة من العرض في قوله: « هلّا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان (...) هلّا عشيت ولم تغتر ».[3]

والغرض الإنجازي هنا يدعوه بنوع من الخشونة إلى ضرورة عودته إلى أصله، فهو إنما جمعه بخليلته نظراً لتشابههما والكاتب (ابن زيدون) بعيد كل البعد عنهما، وبالتالي فإنّ خليلته لا تصلح لأمثال الكاتب (ابن زيدون).

---

[1]- ينظر: جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 384.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص :674،675.

[3]- المصدر نفسه، ص: 661، 664.

أمّا في الجملة الثانية: " هلّا عشيت ولم تغتر " يدعو الكاتب مراسله إلى العشي وعدم الاغترار، وكأنه يقوم بنصحه ليس إلاَّ، مع أنه في الواقع يستهزئ به.

والغرض الإنجازي من هذا الحديث ينبّه منافسه ويستشعره لمعرفة منزلته وقدره، واستحالة ظفره بولّادة والالتقاء بها كما يحذره بأخذ الاحتياط وعدم الاغترار بنفسه، والأخذ بالثقة، مع الابتعاد عن (ولّادة).

د– التعبيريات: وهي تلك الأفعال التي تعبر عن حالة ونفسية المتكلم، ومن أمثلتها: الشكر، التهنئة، الاعتذار والترحيب.

في هذه الرسالة كادت هذه الأفعال تنعدم ومن أمثلتها في الرسالة قول الكاتب: « ومَتَى كَثُرَ تلاقينا واتصل تَرَائِيْنَا فَيَدْعُونِي إِلَيْكِ ما دَعَا ابنة الخُسِّ إِلَى عَبْدِهَا من طُولِ السِّوَادِ وَقُرْبِ الْوِسَادِ !».[1]

ففي هذه الجملة وفي الفعل (يدعوني) يبين الكاتب أنه متأسف وأنه إذا ما أضطر إلى الاستجابة إليه، فإنّ ذلك يكون على ضيق وعدم الرضى، وبالتالي فنفسيته لم تعد مرتاحة إليه أبداً.

والأفعال التي أتت في هذا المقطع من الرسالة تحمل قوة إنجازية دالة على مشاعر التأسف، والضيق وغرضها التعبير عن الحالة النفسية وفي ثوب الاعتذار المتعالي جاء قول الكاتب:

« مَا كُنْتُ لِأَتَخَطَّى المِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ وَلاَ أَمْتَطِي الثَّوْرَ بَعْدَ الجْوَادِ ».[2]

هـ– الإعلانيات: وهي التي تحدث تغيرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالباً ما تعتمد على طقوس اجتماعية ولغوية تتصف بالإطالة، ومن أمثلتها أفعال إعلان الحرب وطقوس التنصير والزواج وأفعال الطرد والإقالة من العمل ومن أمثلتها في الرسالة قول الكاتب: « ما شككت فيك، وَلاَ سَتَرتَ أَبَاكَ، وَلاَ كنت إلاَّ ذاكَ »[3] ،وقد جاءت هذه الأفعال الإعلانية بعد سلسلة أفعال يتوقع الكاتب حدوثها، بعد أن سبقها بالقسم « واللهِ لَوْ كَسَاكَ مُحرّقَ البُرْدَينِ

[1]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 664، 665.

[2]– المصدر نفسه، ص: 667.

[3]– المصدر نفسه، ص: 671.

وَحلَّتك مارِيَةَ بِالقُرطَيْن، وَقَلّدكَ عَمْرُو الصَّمْصَامَةَ، وَحَمَلَكَ الحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ »[1] ،فالكاتب يعلن بعد شرط متبوع باستحالة الوقوع أن المرسل إليه لا يمكن أن يشك فيه أو يستر أباه، وبالتالي لا مكان له ،بعدما انتهى بإعلان هذه الحقائق إقرارا و تأكيدا له ولخليلته.

والغرض الإنجازي من هذا الحديث أن طلب منافسة لا يمكن تحقيقه ولا يناله من ولّادة وهذا "المثل يضرب لمن يطلب أمراً فيخطئه أو يتهيأ لمنزلة فلا ينالها ".[2]

جدول رقم (2): يمثل أفعال الكلام عند سيرل.

الفعل الكلامي	الفعل	زمنه	مقصديته
الإخبار	لا شك ملّتك، قلتك	ماضي منفي ماضي	– تيقن وإدراك (ابن زيدون) لمشاعر المرأة المرسولة و(ابن عبدوس). – كره وملل المرأة المرسولة ل(ابن عبدوس) ورغبتها في التخلص منه.
	أعذرت قصّرت	ماضي ماضي	بيان اجتهاد الواشية (المرأة المرسلة) في تقريب الصلة بين (ابن عبدوس) وولّادة وذلك من أجل التخلص منه.
	انفردت استأثرت استعليت استوليت	ماضي ماضي ماضي ماضي	– بيان صفة من الصفات الإنسانية الحسنة بأخرى وهي نسبية في الإنسان تكمّل بعضها البعض فهو يتحرى للكشف ومعرفة ما يملئ مكانه.
	وضع أقام	ماضي ماضي	وضع الشاعر منافسه في مقام الباحثين والعلماء الدارسين فهو يبين طريقة عمله وكيفية دراسته لعلوم اللغة وذلك بيانا للإطاحة به وإنزاله من موضعه.
	خَرقتَ خَالَفْتَ	ماضي ماضي	يبين الشاعر أن منافسه (ابن عبدوس) مخالفًا لما هو موجود في العالم العادي؛ أي المتعارف عليه في المجتمع فيعتبره خرق للنظام

[1]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 671.

[2]– المصدر نفسه، ص: 671.

	أَحلْتَ	ماضي	وللعوالم وتجاوزه للحدود وبذلك فهو خارقا للإنسان ومخالفاً له.
التوجيهيات	رأيتَ	ماضي	الكاتب يستصغر ويحتقر منافسه عن طريق السخرية والتهكم .
	جهلتَ	ماضي	يبين الشاعر مكانته وافتخاره بالانتساب إلى أكرم الأقوام وأشرفها وأجودها وفي ذلك توجيه لمنافسه بأنه لا يصلح ولا يليق به التقدم إلى هذه الأقوام.
	شعرت حكمت	ماضي ماضي	الرفع من قيمة عشيقته واسقاط من قيمة منافسه وفي ذلك توجيه إلى أن الأخذ بعشيقته لا يليق به؛ لأنهما مختلفان عن بعضهما البعض كالخبيث والطيب.
	ذكرت فقدت	ماضي ماضي	بيّن أن التخلي عن عشيقته لا يحدث وبيان درجة التعلق بها وأنه غير راض عمن يشاركه فيها وأن هذا المنافس لا يمكن أن يكون نبيلا أو سيداً.
	تأوي	مضارع	الشاعر يقنع منافسه بالابتعاد عن عشيقته ولادة.
	يَجتمع	مضارع	توجيه الشاعر لمنافسه تهديدا وتذكيراً له بسوء العاقبة في النهاية في حالة الاقتراب منها كما أنه غير راض عن الحط من قيمته.
	تنجذب	مضارع	بيان أن ولّادة تنتسب إلى أكرم الأقوام وأن منافسه ليس منهم فيرفع من قيمة عشيقته وغرضه الإنجازي في ذلك إبعاد منافسه.
	تقع يقترن	مضارع مضارع	بيان الفرق بين ولّادة ومنافسه، والقصد من ذلك تنبيه لمنافسه بأنه لا يستطيع أن يميل إلى قوم عَلاَ شرفهم ومكانتهم وأنّ ولّادة تكفيه فلا داع لمشاركته فيها.
الالتزاميات	علمت	ماضي	يبين الشاعر لمنافسه بضرورة العودة إلى أصله والاكتفاء بخليلته التي تشبهه.
	عَشّيْتَ	ماضي	الشاعر يقدم النصح لمنافسه وإلزامه بعدم الاغترار.
التعبيريات	كَثُرَ اتصل	ماضي ماضي	بيان أن(ولّادة)قريبة منه وهو أول من اتصل بها.
	يدعوني	مضارع	بيان أن الكاتب متأسف ونفسيته مضطربة ولم تعد مرتاحة إلى منافسه أبداً.
الإعلانيات	يشك يستر	مضارع مضارع	الاقتراب من ولّادة والأخذ بها لا يناله والغرض الإنجازي إقالته عنها.

الملاحظ في هذا الجدول الذي بين أيدينا قلة الأفعال الالتزامية والتعبيرية وتقريبا انعدام الأفعال الإعلانية ،ولعلّ مرد هذا إلى طبيعة نصوص الرسائل والمقامات، فهي تعتمد على الوصف والإخبار والسرد، ومثل هذه الأنماط تكثر فيها الأفعال التقريرية(الإخبار) والأفعال الطلبية (التوجيهيات) ،كما أن الأفعال الإيقاعية (الإعلانيات) هي أفعال قليلة الاستخدام سواء في اللغة اليومية المتداولة أو اللغة الأدبية فهي تخص صيغ العقود و الأحكام وهذا النوع من الملفوظات قليل الورود والاستعمال في الرسالة الهزلية.

ثالثا: الحجاج: Argumentation

I- الجانب النظري:

ما من بحث أو علم إلاّ وله أصول وجذور يعود إليها، ويمتد منها نحو الأحسن، « وهذا ما يميز البلاغة العربية القديمة إذ تعتبر أمّ العلوم اللسانية في وقتنا الحديث، فقد درست البلاغة العربية كل ما يحيط بعملية التواصل من مخاطَب ومخاطِب وخطاب، وما يحكم هذه العملية من الشروط اللازمة لنجاحها والهدف من هذا الخطاب »[1] وقد تمثل بحث الحجاج عند الغربيين كأفلاطون والسوفسطائيين، ومقاربتهم بالدراسات التداولية ونظرية الحجاج في الدرس اللساني الحديث.

[1]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 19.

أما عند العرب فسنتعرض في هذا المقام ما أتى به الجاحظ، أبو هلال العسكري وفكر ابن وهب.

1- الحجاج عند العرب:

أ- الجاحظ:

ونجد في مؤلفه " البيان والتبيين " الذي تناول فيه فصولاً كثيرة وفيها ما يتعلق بالحجاج، والذي حاول في بعض فصول هذا الكتاب تبيان وإيضاح هذا المفهوم باختصار إذ يقول « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل للخط متحيز اللفظ، لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة...» .[1]

ويتضح لنا أن غاية الجاحظ في الخطاب الإقناعي الشفوي تقدم في الغاية (الإقناع) عن الوسيلة (اللغة) والأولى تحدد طبيعة الثانية فمفهوم « الخطاب الإقناعي عنده لم يقتصر على جنس بعينه ».[2]

ب- أبو هلال العسكري:

أما أبو هلال العسكري فقد ربط الحجاج بالشعر، ومعنى ذلك أنّ الشعر يحمل وظيفة حجاجية كبيرة؛ لأن الشاعر يقول كلامًا يحس به ويشعر به دون غيره من الناس من خلال هذا يريد الوصول إلى مرامٍ وأهداف من خلال شعره يقول أبو هلال العسكري: «وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبيّة المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجّة ».[3]

يتبين لنا أن الشعر هو الأساس الذي تقام به الحجج حسب رأي أبو هلال العسكري، والشعر قد ينهض بوظيفة الحجاج وليس بوظيفة الجدل، كما ذكر أيضا قضية المقام وكيف يضطلع في الحجاج.

---

[1]- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط، د ت، ص: 92.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص : 448، 449.

[3]- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص: 49.

ج– ابن وهب:

أما ابن وهب فقد ربط الحجاج بالجدل والمجادلة وهذا ما تضمنه في كتابه المعنون بـ " البرهان في وجوه البيان " ويمكن أن نلخص في ما جاء به في مؤلفه بما يلي:

قدم ابن وهب تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة بقوله: « وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات والتنصل في الاعتذارات ».[1]

نفهم من قول ابن وهب أنه وضع الحجاج باسم الجدل كما أنه قسم الجدل وصنفه إلى تصنيفات أخلاقية وميّز بين الجدل المحمود والجدل المذموم «فأما الجدل المحمود فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة، وطلب به الريّاء والسمعة ».[2]

كما بين أن أصحاب العقول الراجحة من القدماء العرب أولوا عناية لقيمة الاحتجاج وإقامة الحجّة فيقول في هذا الصدد: « وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجّة، وبين عن حقه وقصّر عن القيام بحجّته ».[3]

كما قام ابن وهب بوضع شروط لتحقيق الجدل:

«– أن يعلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبر.

– ألاّ يعجب برأيه وتسوله له نفسه.

– أن يكون منصفا غير مكابر، أن يطلب الإنصاف من خصمه ويقصده بقوله وحجّته.

ألاّ يستصغر خصمه ويستهين به ».[4]

---

[1]– أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، د ط، د ت، ص: 176.

[2]– المرجع نفسه، ص: 176.

[3]– المرجع نفسه، ص: 177.

[4]– المرجع نفسه، ص: 190.

2- الحجاج عند الغرب:

حين نعود إلى الجهود السابقة نجد أن الفلاسفة اليونانيين كأمثال سقراط وتلميذه أفلاطون والسوفسطائيين الذين قدموا بعض الأساليب الحجاجية التي اشتهروا بها وما زالت إلى يومنا هذا فهي تعتبر المنبع والمصدر للنظرية الحجاجية.

أ- الحجاج عند السفسطائيين:

لقد غيّر السفسطائيين مفهوم الفلسفة من اهتمامهم بالطبيعة إلى اهتمامهم بالإنسان وعبر هذا التغير الكبير باللغة والبلاغة والخطابة وهم الواضعين الحقيقين، لعلم الخطابة وقد عبر عنها " جُور جايس " (gorgias) بقوله: « الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير ».[1]

يتضح من هذا القول أن الكلام عند السفسطائين أصبح فتانا ومخادعًا بعد أن كان موحداً للحقيقة ومقدمًا للمعرفة، كما أنه أصبح أداة ووسيلة إقناع وإقتناع تحملك على الإعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماماً للحق والباطل. [2]

كما استندت ممارستهم للحجاج إلى تصورهم النافع فهم لم يربطوه بالخير بل باللّذة، فحسب أفلاطون لذة الاستهواء، وفي هذا الصدد يتنزل مذهب كوراكس (coracs) وهو « استغلال المحتمل وتوجيه الحجاج بحسب النفع الذي يقصد إليه المحاج ».[3]

يتبين لنا من هذا القول أن هذه الممارسة أصبحت منهجًا في الحجاج وكان الحجاج عندهم يمارسونه للحصول على سلطة المجتمع، فالسفسطائي كان يشتغل بالتعليم وكما قال: بروتاغوراس «أوافق على أني سفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس ».[4]

---

[1]- الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة، (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصر)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص: 12.

[2]- ينظر: فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب تونس، 1988، عن هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص: 60.

[3]- المرجع نفسه، ص: 61.

[4]- المرجع نفسه، ص: 61.

كانت غاية السفسطائي تعليم طلبتهم البلاغة والقدرة على الإلقاء والجدل حتى يستطيعون أن يواجهوا كل مسألة والتلاعب بالألفاظ حتى روى عن أحدهم فقال: "ليس من الضروري أن تتعلم شيئًا عن الموضوع لتجيب وقال: إن في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل كاللعب بالألفاظ، الاستعارات، الكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج ".[1]

يتبين لنا من خلال ما أورده السوفسطائيين أن الحجاج عندهم هو التلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة باستعمالهم حججًا واهية وذلك من أجل التأثير وإقناع المتلقي.

ب– الحجاج عند أفلاطون:

انطلق أفلاطون في ممارسته للحجاج من خلال الصراع الذي نشب بينه وبين السوفسطائين.

في المحاورة التي أقامها مع " قرجياش " بحث في موضوع الخطابة ووظيفتها وذكر أن الإقناع نوعان إقناع يعتمد على العلم وإقناع يعتمد على الظن والإقناع الثاني في رأيه هو موضوع الخطابة السوفسطائية، فالعلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة فالإقناع من هذه الوجهة يكون مفيد يكتسب الإنسان منه معرفة، في حين أن الظن يقوم على الممكن لا يكتسب معرفة بل اعتقاد. [2]

كما أنه قيّم وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير (لذة) وذكر أن هناك صنائع تحقق الخير للإنسان وهي جسمه ونفسه، وممارسات أخرى تختال الإنسان وتخدعه، فوضع لها اسم جامع وهو " التّملق " فهذه الكلمة تفيد اللّذة والخداع وهذا رأيه أن الخطابة السوفسطائية قول يتناول الظاهر لا الحقيقة يعني تحقيق اللذة لا الخير. [3]

---

[1]– أحمد أمين و زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة الجنة للتأليف والترجمة والنشر، ط05، 1964، ص: 99.

[2]– ينظر: هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص: 63.

[3]– المرجع نفسه، ص: 64. (بتصرف).

3- مفهوم الحجاج: Argumentation

أ- لغة: ويعرف الحجاج في اللغة على أنه من المعاني اللغوية لكلمة حجاج (ح . ج . ج) المجادلة بسبب الخلاف في الرأي وغيره، وكذا الدليل على إثبات الرأي وهذا ما وُجد في بعض المعاجم العربية « غلبه بالحجّة، أو حاجة محاجّة وحجاجًا جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجّة، وعارضه مستنكراً فعله، وتحاجّوا: تجادلوا، والحجّة الدليل والبرهان ».[1]

ويتضح لنا من هذا المفهوم الذي ورد في المعجم الوسيط أن الحجاج بهذا المعنى يكون في الخصومة وهذا ما حملته كلمة غلبة في المفهوم والغلبة عادة تكون في الكلام.

وتجمع المعاجم العربية اللغوية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لابن منظور: « فالحجّة ما دافع به الخصمُ، ورجل مِحْجَاجٌ أي: جَدلٌ، والتحاجُ التخاصم، واحتج بالشيء اتخذه حجّة ».[2]

يتبين لنا من خلال تعريف ابن منظور على اعتقاد صحة الرأي وإثبات ذلك بالحجّة.

كما ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري « حاج خصمه فَحَجَّهُ، وفلان خصمه محجوج ».[3]

ومعنى محجوج: مغلوب فالشخص المتكلم هو لغالب المُحاجج، والسامع المُحاجج المغلوب، معناه أنه اقتنع بحجة المتكلم.[4]

وقد ورد لفظ الحجاج في لقرآن الكريم في عدة آيات نذكر منها:﴿ هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.[5]

---

[1]- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي: المعجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، ط02، ص 106، 107.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، ، ص: 38. مادة (ح . ج . ج).

[3]- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود: دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط01، 1998، ص: 74.

[4]- ينظر: عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 59.

[5]- سورة آل عمران: الآية 66. (برواية ورش).

ويتضح من سياق الآية الكريمة هو ما كان في التوراة وخالفوا مقتضاه وجادلوا فيه بالباطل والذي لا علم لهم به.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.[1]

من سياق الآية يتضح استجابة الخلائق لله تعالى، فلا قيمة لمن يعارض زعمًا أن له حجّة وأن الحق لله.

قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.[2]

جاء في سياق الآية الكريمة، المحاورة مع الآخرين، وعدم خضوع المسلم إلاّ لله، وإن للحق سلطان وقوة ترتبط بمدد من الله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.[3]

يتضح من الآية الكريمة تبرؤ المستكبرين من أتباعهم يوم القيامة، وخسران الكافرين أجمعين، وطلب الكافرين التخفيف من عذاب جهنم والرد عنهم.

[1]- سورة الشورى: الآية 16. (برواية ورش).

[2]- سورة الأنعام: الآية 80. (برواية ورش).

[3]- سورة غافر: الآية 47. (برواية ورش).

ب– اصطلاحا:

الحجاج مجال غنيّ من مجالات التّداولية يشترك مع العديد من العلوم الأخرى وبهذا يعد ضمن المجال أو الحقل التداولي، لكنه انشق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفية[1]، ومفهوم الحجاج يرتبط بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات أخرى ممكنة كما يقوم مفهومه على إقامة الجدل والخطابة. [2]

وشهدت الدراسات البلاغية في نهاية الخمسينات صحوة نوعية، أطلق عليها اسم البلاغة الجديدة، فكانت المحاولة خلالها، إقامة علم جديد وشامل لدراسة الخطابات بكل أنواعها « فأصبحت تسعى لأن تكون علمًا واسعًا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص، وعملت اللسانيات والتّداولية ونظريات التواصل على إنضاجها، فالمناهج اللسانية الحديثة التّي تأثرت بها البلاغة، تنظر إلى اللّغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها وقد انبثق عن هذا كله البلاغة البرهانية الجديدة ».[3]

وهدف هذا العلم الجديد هو دراسة تقنيات الخطاب وقضاياه .

أما في اللغة الفرنسية « نجد لفظ Argumentation تشير إلى عدة معاني متقاربة حسب قاموس " روبير " ما يلي:

- القيام باستعمال الحجج.
- مجموعة من الحجج أو الإعتراض بها في مناقشة ».[4]

[1]– ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 28، ع يناير_ مارس 2000، ص: 58.

[2]– ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، (من أهم خصائص الأسلوبية)، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب، تونس، 2001، ص: 31.

[3]– عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 60.

[4] -le grand Robert : dictionnaire de la langue française T01, Parise, 1989, p 535.

أما في اللغة الإنجليزية فإن لفظة (Argument) « يشير استخدامها إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة إقناع الآخر بوجهة نظره وذلك بتقديم العلل (Reasons) التي تكون حجّة (Argument) مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما ».[1]

يعرف طه عبد الرحمن الحجاج بقوله: « كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»[2] يظهر مفهوم الحجاج في تعريف طه عبد الرحمان أنه اهتم بالجانب الشكلي بمعنى اهتم بالتلفظ ثم الإفهام. « التلفظ، من ثم الإفهام، لكنّه لا يتجاوز ذلك إلى الغرض التداولي من الحجاج، وهو تحصيل الإقناع ».[3]

كما عرفه " بيرلمان " في مؤلفاته وهو " مقال في البرهان " : إذ جمع فيه بين شكله والغاية منه فاعتبره « إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجع حجّة ،هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة ».[4]

على هذا الأساس فإن بيرلمان ركز على أن الحجاج يقوم على الإذعان وهو الإقناع « إذ جعل منه لبّ العملية الحجاجية، كما اعتبره أثراً مستقبليا يتحقق بعد التلفظ بالخطاب، لينتج عنه القرار بممارسة عمل معيّن أو اتخاذ موقف ما سواء بالإقدام أو بالإحجام ».[5]

أما مفهوم الحجاج المتداول بين الدارسين، فنجد ميشال مايير (Michel Mayer) يعرفه « جهداً إقناعيًا (إفحاميًا)، ويعتبر البعد الحجاجي بعدًا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه »[6] إذاً فالحجاج متضمن في اللغة، والهدف منه الإقناع، ولهذا فإن الحجاج لا يكون دائما في الخصومة، بل يكون أحيانًا

---

[1] -Longman : Dictionary of contemporary English, Longman, 1980.

[2]- طه عبد الرحمن: اللسان والمميزات والتكوين العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط01، 1998، ص: 232.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 457.

[4]- المرجع نفسه، ص: 456، 457.

[5]- المرجع نفسه، ص: 454.

[6] -Mayer - (Michel) logique, langage et argumentation, Edition, hachell Enuversite, 1982, 2eme paris, p 137.

من أجل الإقناع، وهكذا يكون الحجاج في شكله النهائي « ترجيح خيار من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانيات لغوية على أخرى يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين ». [1]

وبالنظر إلى الحجاج فإنه يعتبر نشاط سائد في شتى مجالات الحياة وكل إنسان يمارسه وفق قدراته العقلية والحجاج لا يكون بين متخاصمين فقط، بل يكون من أجل الإقناع وتحقيق الذات لأن الحجاج فطري في الإنسان يستعمله الدارس وغيره في الحياة اليومية ومن أهم المجالات التي يوظف فيها الحجاج نقل المعارف والعلوم، وكل معارف تحتاج إلى أدلة وبراهين من أجل الإقناع.

وإذا انطلقنا من أصل هذه المادة (ح. ج . ج) والتي توسعت في شرحه أمهات المعاجم العربية وبهذا يمكننا التصريح بالنتيجة الآتية:

« ومعنى محجوج أي: مغلوب والشخص المتكلم الغالب المحجاجْ، والسامع المحاجج المغلوب، أي أنه اقتنع بحجة المتكلم ». [2]

يتضح لنا من هذا القول أن الأصل في مادة حجج متكونة من ثلاثة فروع: المحاجج الغالب والمحاجج المغلوب والحجج التي تدور بين المتناظرين .

وبهذا فإن مصطلح الحجاج يستعمل عندما تختلف وجهات النظر بين أولي العلم في الدلالات والمقاصد من أجل الإقناع.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن أفلاطون اعتمد على القول الحجاجي ونستخلص أن فكر أفلاطون في الحجاج من خلال محاورته السوفسطائيين أن مقصد الحجاج ينطلق من الخطابة التي تعتمد على دعامتين: العلم والخير فكان ذلك عكس الحجاج السوفسطائي الذي كان حجاجًا مخادعًا.

[1]- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، ص: 72.

[2]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 59.

بعدما تناولنا الدرس الحجاجي ورأينا التناول الغربي والعربي له، يمكننا أن نشير إلى بعض المصطلحات التي تتقاطع معه في المفهوم كالجدل والاستقراء والقياس إضافة إلى البرهان والاستدلال، وتبيان الأقرب إلى مفهوم الحجاج.

- الاستدلال: يرتبط هذا المفهوم بالحجاج من خلال: « سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، ذلك أن النّص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النّص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبًا عقليًا للعناصر اللّغوية، ترتيبًا يستجيب لبنية الإقناع ». [1]

يتبين لنا أن الاستدلال يرتبط بالبرهنة وهو قريب منها من حيث المفهوم « الاستدلال يرتبط بالبرهنة من جهة وبالإقناع من جهة أخرى ». [2]

- البرهنة: هذا المصطلح يقوم على « الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً إلى ألطف فكرة وأنفذها ».[3]

ومن هنا تتضح العلاقة بين مصطلح الحجاج والبرهنة على طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة، وترتبط بالإقناع، باكتشاف طريقة عرضها بالإقناع . [4]

- الإقناع: يعني هذا المصطلح « الإقناع هو (persuasion ، إنّما هو الوجه الغائم للحجاج ومرادفه الآخر عبر مقولة المواضع المنطقية، وقد حاول العديد من الدارسين وضع الفروق بينهما : أي بين الإقناع والحجاج وذلك

[1]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الكريم الثاني للهجرة)، بنياته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط01 2001، ص: 21.

[2]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 74.

[3]- المرجع نفسه، ص: 74.

[4]- المرجع نفسه، ص 74. (بتصرف)

أنّ الإقناع هو ما به يحاول الإنسان إقناع نفسه، في حين الحجاج هو ما به يحاول إقناع الآخر، وذلك بوسائط متنافرة، منها ما يعود للّغة وما توفره من بنى وأساليب ومفردات وتركيب وروابط مؤثرة حجاجيًا » .[1]

من خلال هذا القول يتضح لنا أن الإقناع يكون من الذات بينما الحجاج أو سع منه سكون من الأخر ولهذا يفصل بين المصطلحين (الإقناع والحجاج) « النص الخطابي نص إقناعي ولكنه ليس نصًا حجاجيًا » .[2]

ولهذا سيطر مصطلح الحجاج الذي صورته الإقناع في كل موضع، ذلك لأن الحجاج يعتبر عملية اتصالية بالنظر إلى الحجج المعتمدة « لأن الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم » .[3]

نخلص إلى أن هذه المصطلحات متقاربة وتتداخل فيما بينها وهناك من يستخدم الحجاج مكان الاستدلال والبرهنة والعكس صحيح ولكن مصطلح الحجاج أشمل.

4- أصناف الحجاج:

يمكن تصنيف الحجاج ضمن صنفين هما: الحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي، وذلك باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه، فقد يكتفي المرسل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسل إليه من حجج قد يواجهه بها.

أ- الحجاج التوجيهي:

وهذا النوع يختص به المحاجج « وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علمًا بانّ التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدلّ بأقواله من حيث إلقاؤه

[1]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 76.

[2]- المرجع نسه، ص: 76.

[3]- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص: 105.

لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عناية إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصّة ».[1]

نلاحظ من خلال هذا القول أن التوجيه يختص به المحاجج وهو طريقة يوصل بها أدلته إلى غيره « غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال ، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير ممتعًا بحق الاعتراض ».[2]

يمثل هذا النوع من الحجاج بالأفعال اللغوية التي تفي بالجزء الذي يخص المرسل من الاستدلال، كما يعد هذا الصنف في مستوى أدنى من الحجاج التقويمي. [3]

ب– الحجاج التقويمي:

ويقصد به إقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه « وهو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرد من نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه؛ ها هنا لا يكتفي المستدلّ بالنظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط ».[4]

يتبين لنا من هذا القول أن المتكلم يتعدى حدود الضوابط والشرائط إلى النظر في المتلقي باعتباره هو نفسه أوّل متلق لما يلقي، « فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدلّ له أن يقوم به، مستبقًا استفساراته واعتراضاته ومستحضرًا مختلف الأجوبة عليه ومستكشفًا إمكانات تقبلها وإقناع المخاطب بها »[5]

يتضح لنا من هذا لقول أن هذا الصنف من الحجاج الذي يسمى بالحوار الضمني وغرضه هو دفع الشك المتوقع من المرسل إليه، وهذا لبلوغ الهدف ومقابلة المعترض بما يجب في الوقت المناسب.

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشيهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 470.
[2]– المرجع نفسه، ص، 470.
[3]– المرجع نفسه، ص: 470. (بتصرف)
[4]– المرجع نفسه، ص: 473.
[5]– المرجع نفسه، ص: 473.

5- تقنيات التصوير الفني:

تعتمد الصور الفنية في تشكيلها على وسائل وتقنيات عديدة، إذ قد يلجأ الكاتب إلى المجاز بمختلف أنواعه من تشبيه، واستعارة، وكناية، وغيرها،كما قد يتجه إلى الوصف المجرّد، وينقل لنا مشاهدهُ بمفردات لغوية متميزة على وجه الحقيقة، كما فعل (ابن زيدون) في الرسالة الهزلية هذه، وستتضمن هذه الدّراسة تقنيات الصورة كما رآها العرب القدامى والمتمثلة في الأشكال البلاغية المندرجة ضمن قسم البيان والتي ما زال لها بريقها وتميّزها ودورها الأساسي في رسم الصورة وإقناع المخاطب، « ولا زالت الركائز الأساسية التي تلوّن المشاعر وتستوعبها ».[1]

أ- التشبيه:

التشبيه فن بياني كثير التواجد على ألسنة الكتّاب والشّعراء قديما وحديثا، لما له من قيمة فنية كبيرة، ولما يتيحه لهم من التصرف في شتى أنواع القول، وهو يعني في علم البيان الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى من المعاني بأداة من أدوات التشبيه المعروفة، الأمر الأول هو المشبه، والثاني هو المشبه به، أما المعنى الذي يشتركان فيه فهو وجه الشبه، وأكيد أن المشابهة إنما « تكون لفائدة مخصوصة».[2]

أ-1- أقسام التشبيه:

يقسم التشبيه باعتباره وجه الشبه والأداة إلى أقسام خمسة:

- التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، وجاء بطريقة عفوية؛ أي أرسل بلا تكلّف، فذكرت أداة التشبيه بين طرفيه.
- التشبيه المؤكد: هو ما حذفت منه الأداة، ويقصد بالمؤكد أن التشابه بين الطرفين أكيد.

[1]- إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم: الصورة الفنية في الشعر العربي، مثال ونقد، الشركة العربية للنشر والتوزيع، الأردن، 1996، ص: 132.

[2]- عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في البلاغة عند ضياء الذين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، 1986، ص: 156.

- التشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه.
- التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه؛ أي أنّ التشبيه مختصر مجموع.
- التشبيه البليغ: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه، وأبقى فقط على المشبه والمشبه به، هذه أنواع التشبيه المعروفة رغم أن هناك أنواع وأقسام أخرى للتشبيه نذكرها فقط لضيق الوقت وهي: التشبيه الضمني، التشبيه التمثيلي التشبيه المقلوب.

أ-2- أغراض التشبيه وبلاغته:

ممّا هو متفق عليه أن التشبيه يأتي في الخطاب الشعري، والأدبي عمومًا، ليؤدي وظيفة دلالية تتمثل في توضيح المعنى وتقريبه إلى الذهن هذا ما يؤكده " توفيق الزيدي " قائلا: « والتشبيه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيداً »[1] ولهذا لا يستغني أي متكلم عن التشبيه.

وبالإضافة إلى هذه الوظيفة الأساسية للتشبيه، توجد وظائف وأغراض أخرى تتعلّق معظمها بالمشبه، ويذكراها طالب محمد الزوبعي وناصر حلاوي ومنها:

- بيان إمكان المشبه؛ أي إمكانية وجوده، كأن تسند إلى المشبه أمراً غريبًا قد يعتقد أنه ممتنع الوجود، فتأتي بالمشبه به المتفق على إمكان وقوعه، لتبين قياسا عليه إمكان حدوث المشبه ووجوده.

- تقرير حال المشبه لتوضيح صور المشبه

ب – الاستعارة:

تعد الاستعارة من أحسن وسائل التبليغ، لإقناع المتلقي، وذلك بتركيب استعاري حجاجي[2] ومنه نشير إلى « جمالية الإرسال من أجل التأثير في المتلقي، وأسر انتباهه، فيتلذذ باستقبال الرسالة الكلامية المبثوثة في أحسن صورة ».[3]

---

[1]- إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم: الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد-،ص:132.

[2]- ينظر:عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 283.

[3]- عبد المالك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة. (متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها)، مجلة جذور، الجزء28، مج 11، رجب 1430، يوليو 2009 ص: 226، 227.

وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن الاستعارة هي: « أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء به فتعير المشبه وتجريه عليه ».[1]

والاستعارة من المجاز اللغوي وهي: « تشبيه حُذف أحد طرفيه فعلاقتها المشابهة دائما وهي قسمان : تصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه ».[2]

وإلى جانب الاستعارة التصريحية نجد الاستعارة المكنية وهي: « ما حذف فيها المشبه ورمز له بشيء من لوازمه ».[3]

ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن الاستعارة المكنية هي ما حذف فيها المستعار منه وصرح بالمستعار، وهي على ثلاثة أركان:

- المستعار منه وهو المشبه به.
- المستعار له وهو المشبه.
- المستعار وهو اللفظ المنقول.

ج- الكناية:

هي عبارة عن « لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته ».[4]

[1]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط05، 2005، ص: 67.

[2]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 77.

[3]- المرجع نفسه، ص: 77.

[4]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة. (في المعاني والبيان والبديع)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، إعداد: محمد صدقي العطار، ط01، 2010 ص: 252.

ج-1- أقسام الكناية:

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام حسب معانيها:

*كناية عن صفة: وتعرف كناية الصفة عن طريق ذكرنا للموصوف، سواء أكان ملفوظا أم ملحوظا خلال كلامنا.

*كناية عن موصوف: وتعرف كذلك عن طريق ذكرنا للصّفة المباشرة أو الملازمة.

*كناية عن نسبة: وتعرف هي الأخرى من خلال نسبة أمر لآخر، مثبتا أو منفيًا وحينئذ يكون المكنى عنه نسبة.

ج-2- بلاغة الكناية:

« الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلاّ من لطف طبعه، وصفت قريحته، والسرّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيّها برهانها ».[1]

فالكناية عن طريقها، يمكن للمرء أن يشفي غليل صدره في خصمه، بدون أن يجعل إليه سبيلاً، وبدون أن يشوّه صورة الأدب، وذلك في قالب نثري جميل وهذا ما سنراه في الجانب التطبيقي عند استخراجنا للشواهد من الرسالة.

د- المجاز:

هو « من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لإيضاح المعنى إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الإتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحيّة ولأمر ما كثر في كلامهم حتى أتو فيه بكل معنى رائق وزينوا به خطبهم وأشعارهم ». [2]

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن المجاز من أحسن الوسائل البلاغية في الإقناع واستمالة المتلقي والتأثير فيه. وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن « العدول (Ectat) ما هو إلاّ استعمال االألفاظ في غير معانيها والخروج بها عن النمط (Norme) أو الدلالة الشائعة إلى الدلالة الطارئة (العدول أو المجاز)، ولكن هذا العدول وإن كان اختياريا، فإنه لا يتم بمعزل عن الدلالة، وهذا ما نراه واضحا في التنظيم البلاغي، حيث يلح البلاغيون على أن الحقيقة هي الأصل والمجاز هو الفرع ». [3]

---

[1]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، (في المعاني والبيان والبديع)، ص: 258.

[2]- المرجع نفسه،ص: 216.

[3]- علي كاظم علي: شعرية المجاز في البلاغة العربية، مجلة جذور، ص: 250.

1- أقسام المجاز:

ينقسم المجاز إلى أربعة أقسام:

« مجاز مفرد مرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة، ويجريان في الكلمة، ومجاز مركب مرسل، ومجاز مركب بالاستعارة ويجريان في الكلام ».[1]

2- أنواع المجاز:

للمجاز أنواع كثيرة نذكر منها الأهم:

أ- المجاز المرسل: وهو المجاز المقصود بالذات.

ب- المجاز العقلي: وهو المجاز الذي يجري في الإسناد.

3- بلاغة المجاز:

مما هو معروف أنه لو تأملنا ودققنا النظر في أنواع المجاز المرسل والعقلي باعتبارهما الأهم، لوجدنا أنّها تؤدي غالبًا المعنى المقصود بإيجاز ولو دققنا النظر أكثر لا انتهى بنا التدقيق إلى أن معظم ضروب المجاز سواء المرسل أو العقلي لا تخلوا من مبالغة بديعة، تترك أثر وتجعل المجاز رائعاً و « وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين هو المهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصوّراً للمعنى المقصود خير تصوير ».[2]

[1]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، (في المعاني والبيان والبديع)، ص: 217.

[2]- المرجع نفسه، ص: 223.

II- الجانب التطبيقي:

إنَّ كلَّ دراسة تطبيقية حول موضوع " الحجاج " _ حتما _ لن تكون بالسهلة لأننا وبمجرد تلفظنا لكلمة حجاج يتبادر إلى أذهاننا العديد من المصطلحات والألفاظ من إقناع، تأكيد، حجّة، برهان، دليل إلى غيره من الألفاظ، إلى جانب شمولية الموضوع وتشعبه، إذ وجدنا أنفسنا تائهين حول العناصر التي يحتويها الحجاج، من جهة ومن جهة أخرى، مداهمة الوقت لنا وعدم إمكانية التطبيق على جميع أجزاء الحجاج، وبالتالي عمدنا إلى استخراج القضية المطروحة في الرسالة والحجج والبراهين المعتمدة والتطبيق على نوعين من الحجاج، الحجاج التوجيهي فالتقويمي وأخيراً استخراج الحجج عن طريق الصور البيانية لأننا وجدنا الرسالة كلها صور بيانية أو قل معظمها، كل هذا وذاك سنجده في الفصل التطبيقي.

1- استخراج القضية المطروحة:

يبدوا (ابن زيدون) مع السمّو حتى في حبّه، وفي علاقته مع حبيبته "(ولاّدة)" وقد اختار لسموّ الحبّ هنا جمالية خاصة في التعبير، تترك لدى المتلقي لذة فنيّة ولذة حسيّة متعالية، تتقرب به من التجربة الصوفية المتسامية على خسائس النفس ورذائلها.

وقد لجأ الكاتب إلى حيلة تثبت تساميه عن الوزير (ابن عبدوس) الذي يشاركه أو قُلْ شَارَكَهُ في حبّ (ولاّدة) فَخُلِقَ نوع من الصّراع بينهما (ابن زيدون) و(ابن عبدوس)، ف (ابن عبدوس) أراد لـ (ابن زيدون) الابتعاد عن "(ولاّدة)" فعمد إلى جعل وساطة بينه وبين حبيبته فأرسل جارية للتوسط له، فَلَمَّا علم (ابن زيدون) بذلك جَنَّ جُنونه وثارت ثائرته، فجعل يكتب هذه الرسالة الهزلية، فكانت رسالة على لسان (ولاّدة) وذلك من أجل الإطاحة بالوزير (ابن عبدوس) والانتقام منه، وهل يجد الإنسان ملاذاً ومثلاً للثبات والصبر كالانتقام الذي لا يمكن لتقلبات الجوّ، أو الزمن أن تؤثر عليه، وليس كتابة (ابن زيدون) للرسالة على لسان حبيبته معناه أنه عاجز عن ردّ الصّاع صاعين، بل المرام أبعد من ذلك.

ولعلّ الجميل في رسالته هذه أنها ظهرت متوارية ومحتشمة في أغلب الأحيان، لا عن خوف أو تكلف، إنما عن قناعة وإيمان، فأثبتت في الكثير من المواضع أنه يتمتع بشخصية قوية متوازنة، وأناه هي التي تفرض عليه مواقفه وموضوعاته، فابلقدر الذي كان ينصهر فيه مع ألام حبيبته بالقدر الذي كان يسمح فيه لذاته بالظهور أحيانا ليثبت دائما أنه إنسان متعالٍ على إخفاقات وتفاهات الوزير (ابن عبدوس) وحتى الواقع، لم يضحي بذاته على مذبح الإيديولوجيا –كما يرى الكثيرون– إنما أعطى رسالته هذه قيمتها، فلم يجعلها أداة للتسلية وإزجاء وقت الفراغ، بل سلاحًا آخر إلى جانب البنذقية يحطم به قوى الشر والجبروت الموجودة في نفس الوزير (ابن عبدوس).

فكانت بداية الرسالة مازجة بين الذاتية والموضوعية، ليغرق في الذاتية إلى أبعد الحدود، حتى يعلم القارئ أنّ قضية (ابن زيدون) الوحيدة هي محبوبته؛ لأن ذاكرة الهوى تضيء جوانحه، فكل جملة أو كل موضع من الرسالة يعكس ارتباطه الشعوري العميق بحبيبته، الذات الأخرى التي تمثل موضوعه.

2- الحجج والبراهين:

قدم (ابن زيدون) في عرض رسالته هذه حججًا توجيهية وأخرى تقويمية إلى جانب أنواع أخرى من الحجاج ولضيق الوقت سلّطنا الضوء على نوعين فقط من الحجاج.

كانت الغلبة في تقديم حججه للتوجيهية، مما يؤكد أنه مطّلع بامتياز على فن الخطابة، يتبين ذلك في الرسالة من خلال بنائها على شكل هرمي ــ كما رأينا ــ فهو قد حلل القضية بأسلوب منطقي ينتقل من الكل إلى الجزء.

حيث قام في البداية بعرض فكرته وتعريفها عمومًا عن طريق ما قاله على لسان "ولاّدة " ثم انتقل إلى عرض وجهات النظر الأساسية التي تناول فيها موضوع الأخلاق وهنا يتجلى لنا الحجاج التقويمي ليزيد في الشرح والتفصيل أكثر بإعطاء آراء أخرى مدعمة أو مبطلة للآراء المقدمة وبالتوسع في الشرح (السّخرية والتهكّم) ثّم إبراز أوجه الاتفاق والاختلاف في هذه الآراء، حيث أتى برأي أوّل يقول بأن الإنسان خيّر وبعدها يتحول إلى الشّر.

ويؤكد الكاتب (ابن زيدون) أن كل ما هو قابل للتغيير يصلحه التأديب وهذا رأي أرسطو طاليس ــ ومن ثمَّ فالتعليم والوعظ والإرشاد مهمة للطبيب وللإنسان عمومًا[1] « عرفت الداء والدواء »[2]

أمّا إذا وُجِدَ ما لم يتغير في الإنسان رغم التأديب والوعظ فذلك هو الطبع وعند هذه النقطة يتوقف (ابن زيدون) بتقديم الحجج والبراهين، وإن كان من البداية يقدم براهينه، غير أنّ البراهين التي قدّمها في البداية كانت براهين عقليّة معنويّة، أما البراهين التي يقدمها في مسألة ثبات أو تغيير الطّباع براهين ماديّة، ليختم الكاتب أفكاره هذه بالحديث عن مراتب الناس في قبول الآداب والتهذيب، فيراهم مختلفين، حيث ذكر سلسلة من الكتاب والشعراء والحكماء وحاول من خلالها المقارنة بين الوزير (ابن عبدوس) وبينهم وإن لم يكن (ابن زيدون) شرح بهذه الطريقة ولأن الإنسان السويّ لا يستطيع أن يُظهر عكس ما يبطن وبذلك تسهل معرفته وملاحظة الصّفات التي استطاع التأديب أن يقوّمها فيه، والصّفات التي لم يستطيع تقويمها، ولأن ذلك الصّنف مختلف في الصفات متفاوة فكذلك هم النّاس عمومًا، فيهم الخيّر والشرير والمتوسط بينهما. [3]

في الأخير يصل (ابن زيدون) إلى ضرورة اتباع أسلوب التأديب والتقويم والتوجيه، فإذا تُرك ــ يقول ــ سيظل الانسان على طباعه يتبعها وأكيد أنه سيكون شريراً لأن الطّباع الشّريرة فيه لم تعالج.

وقد واجهتنا في هذه الرسالة صور بيانية كثيرة باختلاف أنواعها عند تتبعنا لعنصر الحجاج في لرسالة الهزلية " ل(ابن زيدون) " ، وكما نعلم أنّ للصّور البيانية دور كبير في إبراز الحجاج الموجود في النصوص، فقد كانت ولا زالت تلعب دوراً كبيراً إلى جانب الحجاج التوجيهي، القضوي، السلطوي، التقويمي، فكان كلّ من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز الحظّ الأوفر في الرسالة ولكثرة تواجدها، بل ولصعوبة استخراجها كلّها.

[1]– ينظر: جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 210، 211.

[2]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 647.

[3]– ينظر: جمال الدين بن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 210، 243.

وعلى هذا الأساس اخترنا طريقة الإحصاء في الجداول، بعد أن تطرقنا إلى تعريف كل نوع من أنواع الصوّر البيانية الموجودة على حدى في الجانب النظري ليسهل على كلّ متطلّع للمذكرة الفهم الجيد واليسير. الخانة الأولى سمّيناها: الشواهد (من الرسالة طبعًا)، الخانة الثانية سميناها: نوع التشبيه، والثالثة المشبه والرابعة المشبه به والخامسة السبب، والأخيرة بالدلالة الحجاجية.

ثم الجدول الخاص بالاستعارة بنفس التقسيم، وكذلك باقي الأنواع من كناية ومجاز، وقد تعمّدنا إلى إضافة تعليقات عن الجداول الإحصائية بعد كلّ جدول، للتمكن من فهم الجدول ومضمونه جيداً.

وكما هو معروف أنّ لكل خطاب سواء أكان نثري أم شعري له قدرة على التأثير في المخاطب؛ أي ما يسلّطه الخطاب بعد اكتماله وإلقائه على متلقية، وانطلاقًا من منطلق أنه لابد لكل حدث أسباب وأدوات، أردنا بهذا التطبيق أن نبحث عمّا يتسلح به الحجاج ليقوم بعملية التأثير، فتبين أن الوسائل متعددة ومتنوّعة المواقع، إذ كان لابدّ علينا التطرّق إلى عناصر الحجاج والتّطبيق عليها ولكن ولضيق الوقت_ كما قلنا سابقا _ عمدنا في التطبيق على نوعين من الحجاج (التوجيهي والتقويمي)

ولعلّ عملية الحجاج تقوم على التأثير والإقناع هذه التي تشترك فيها أجزاء الخطاب عامة، سواء ما تعلّق بالدال أو المدلول والتأثير هو مهمة اللفظ كما هو مهمة التراكيب والمعاني، وقد تم التركيز في هذا التطبيق الخاص بالحجاج على الصور البيانية (تشبيه، استعارة كناية، مجاز)، ولما لها من دور في تقريب المعنى للمتلقي وإلزامه الحجّة والدليل، وقد انحصر هذا التطبيق على الصوّر التشبيهيّة، والاستعاريّة، والكنائيّة والمجازيّة، ذلك لأن صور الكاتب لم تكد تخرج عن هذه الأنواع، ويمكن أن يتساءل البعض إذا كان فن الرسالة أنداك لم يرقى إلى درجة النثرية المتدفقة، بل كان تركيزه على إيصال الرسالة.

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقدم إليكم الجداول التوضيحية حسب الترتيب للصور البيانية: تشبيه، استعارة، كناية مجاز.

التطبيق في الجداول:

1- التشبيه:

من المتعارف عليه أن « التشبيه الجميل المؤثّر في النفس هو ما حاز صفات أبرزها الطّرافة والنّدرة والخيال وبعد المرامي ويحتاج التأمل والتأويل ليؤثر في نفس المتلقّى ».[1]

جدول رقم (3): يمثل حجاجية التشبيه في الرسالة

الشواهد	نوع التشبيه	المشبه	المشبه به	السّبب
« سيّدهم مثل النّجوم »[2]	التشبيه المرسل	سيّدهم	النجوم	بيان مكانة السيّد وهو عبارة عن تأكيد لإقناع القارئ
« المتهافت تهافت الفراش في الشّهاب»[3]	التشبيه المؤكد	المخاطب (الوزير)	الفراش	بيان عدم التركيز والعشوائية وبهذا تلزمه الحجّة
« أنت واو عمرو »[4]	التشبيه المفصل	أنت (الوزير)	الواو	تبيان أهميته ومكانته
« هم الكواكب »[5]	التشبيه المجمل	هم (الأقمار)	الكواكب	التّأكيد على علوّ المنزلة
« السّاقط سقوط الذّباب على الشّراب »[6]	التشبيه البليغ	المخاطب (الوزير)	الذباب	التّأكيد على بيان فساد الأخلاق

لقد نجح الكاتب (ابن زيدون) وهو يشكل تلك الصور تشكيلا حجاجيا فنيًا قائما على تداعي المعاني إذ معظم التشبيهات تجعل المتلقي متأثراً وقتنعاً بكلام المتكلم وتصديقه للحقيقة التي مفادها أنّ "(ولاّدة)" حبيبة (ابن زيدون) وليس " الوزير (ابن عبدوس) ".

---

[1]- طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي: البلاغة العربية، (البيان والبديع لطلبة قسم اللغة العربي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ط01، 1996، ص: 42.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 668.

[3]- المصدر نفسه، ص: 635.

[4]- المصدر نفسه، ص: 669.

[5]- المصدر نفسه، ص: 668.

[6]- المصدر نفسه، ص: 635.

والملاحظة من خلال إحصائنا للتشبيهات الموجودة في الرسالة أنها تنوّعت بين التشبيه المؤكّد والبليغ والمرسل والمجمل أيضا، والتي شكّلت حججًا تخدم نتيجة ضمنيّة مفادها اللّوم والعتاب، حيث يحاول الكاتب إقناع الوزير بأنّه ارتكب خطأ عندما أراد التقرّب من "(ولاّدة)"، إذ يستخدم الكاتب التشبيهات لبلوغ أهدافه الحجاجيّة لذلك فإنّ من مصلحة الخطاب الحجاجي تقوّية حججه بالاعتماد على التشبيهات.

2- الاستعارة:

كما هو معروف أنَّ « الاستعارة صورة من صوّر التوسّع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامّة التي ترجع إلى المعنى ».[1]

وهي التي توجب الفضل والمزية لكلام ما، ورسالة (ابن زيدون) الهزلية يتحقّق فيها هذا الفضل وتلك المزيّة، وبغية الوقوف عليها سيتم إحصاؤها حسب تواجدها في الرسالة:

جدول رقم (4): يمثل حجاجية الاستعارة في الرسالة

الشواهد	نوع الاستعارة	المستعار	المستعار له	المستعار منه
« أذلَّ الحرص أعناق الرجال »[2]	استعارة مكنية	أذل الحرص	أعناق الرجال	شيء معنوي يطلق على الانسان
« استوليت على محاسن الخلال »[3] [3]	استعارة مكنية	محاسن لخلال	الوزير (ابن عبدوس)	شيء مادي يُستولى عليه
« تعاطيك السير والأخبار »[4]	استعارة مكنية	حفظ السير والأخبار	الوزير (ابن عبدوس)	شيء مادي كالمخدّرات لوجود القرينة الدالة وهي الفعل " تعاطيك "
« اتصل ترائينا »[5]	استعارة مكنية	الاتصال	الرؤية (ترائينا)	شيء مادي كوسيلة للاتصال (هاتف)
« ذهب نشاطه »[6]	استعارة مكنية	الذهاب	النشاط	شيء معنوي وهو الانسان الذي يمشي

[1]- عبد العزيز عتيق: البلاغة العربية، (علم المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، 1984، ص: 29.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 674.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 637.

[4]- المصدر نفسه، ص: 663، 664.

[5]- المصدر نفسه، ص: 665.

[6]- المصدر نفسه، ص: 673.

لقد أحسن (ابن زيدون) في الاعتماد على الصوّر الإستعاريّة في الرسالة الهزلية طالما أن الاستعارة « أمعن في الخيال، لأنها تطمس معالم الأشياء، وتستبدل بها أشباهها ».[1]

ومما زاد الصور الاستعارية " لـ(ابن زيدون) " وقعًا في النفس هو بثها الحركة والحياة والنطق حتى في الجماد وهو ما ذهب إليه الجرجاني في قوله: « فإنّك لترى بها الجماد حيًا ناطقاً، والأعجم فصيحًا والأجسام الخرس مبينة والمعاني جليّة ». [2]

وانطلاقا من كل ما ذكر، يمكن القول إن كثرة الصوّر الإستعاريّة في الرسالة لا يعّد مبالغة، كونها أجلّت المعنى وأدت المقصود الحجاجي بقوة، وهو ما درج عليه (ابن زيدون) في رسالته، إذ ألغى . الحدود الفاصلة بين المعنّوي والحسّي وبين الجماد والحي في مفارقات زادت نصوصه بلاغة وقوة سبك حبك

كما يبدو لنا بوضوح أ ن التركيب الإستعاري ومعناه أقوي حجاجياً من القول الحقيقي، وبهذا كونت طاقة بلاغية حجاجيّة في القضاء عىلى منافسة (ابن عبدوس)، كما أنها تحقق فائدة من خلال الطاقة الحجاجية الذي يحتويه التركيب الإستعاري، إذ أحسن الشاعر توظيفها وتخيير المعاني الملائمة لها.

3– الكناية:

كما سلف الذكر فيما مرّ في الحديث عن الكناية أنها لفظ تم إطلاقه وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، كما أنها تنقسم باعتبار المكنّى عنه إلي ثلاثة أقسا م إذ قد يكون المكنى عنه صفة، وقد يكون موصوف كما قد يكون نسبة، وفي رصد البحث للكنايات المتوفرة عليها رسالة (ابن زيدون) الهزلية – عمدنا كما سبق مع التشبيه والاستعارة– إلى الوقوف عليها مع كل فقرة أو جزء من الرسالة، حتى يتم التّمكن من إحصائها واحدة، واحدة ولأجل ذلك كان مستلزما استعمال طريقة الجداول، وليس الهدف من هذا الإحصاء ضرورة ذكر الصور والشواهد

[1]– محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، (اتجاهاته وخصائصه الفنّية)، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص: 348.

[2]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 344.

فذلك يستحيل، خاصة مع ما يعتمد على الخيال، ولكن الهدف هو إظهار مدى خصوبة خيال الكاتب والقوّة الحجاجيّة الواردة في خطابه من أجل التّأثير في الملتقي واستمالته.

كما قلنا في الجانب النظري « فالكناية لفظ أُطلِق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ».[1]

جدول رقم (5): يمثل حجاجية الكناية في الرسالة

الشواهد	نوع الكناية	الصفة	الموصوف	الدلالة الحجاجية
« حملك الحارث على النّعامة »[2]	كناية عن صفة	التعظيم	الوزير	– في هذا القول الكاتب لا يقصد التعظيم بل عن طريقه يثبت التحقير ولكن عن طريق التعريض
« الحشف وسوء الكيلة »[3]	كناية عن صفة	الخسارة	الوزير	– (ابن زيدون) يذم الوزير وثبت ذلك عن طريق هذه العبارة فهو ذليل ومهان
« المصاب بعقله »[4]	كناية عن صفة	الجنون	الوزير	(ابن زيدون) يحتقر الوزير أيضا ويثبت له بأنّه مجنون
« سقط العشاء بك على سرحان »[5] »[5]	كناية عن موصوف	النهاية المأسوية	الوزير	– (ابن زيدون) يحاول أن يثبت لنا وللوزير بأنّ مكانته ستنتهي وتزول وستكون مأساوية لا محالة
« ألست تأوي إلى بيت قعيدته لكاع »[6]	كناية عن صفة	الانحطاط	الوزير	– (ابن زيدون) يحط من قيمة الوزير ويثبت بأنّه منحطّ لأبعد الحدود

[1]– علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، (البيان والمعني والبديع)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ط01، 208، ص: 105.

[2]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 671، 672.

[3]– المصدر نفسه، ص: 673.

[4]– المصدر نفسه، ص: 634.

[5]– المصدر نفسه، ص: 675.

[6]– المصدر نفسه، ص: 672.

نلاحظ من خلال الجدول أنّ الكنايات في هذا التركيب كنايات عن صفة الانحطاط والخسارة المأساوية لـ (ابن عبدوس) وهذا لغاية حجاجية وهي: إبعاد منافسه عن حبيبته "(ولاّدة)".

ومما هو معروف أنّ « الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها من لطف طبعه وصفت قريحته، والسّر في بلاغتها أنّها في صوّر كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها (...) وفي طيها برهانها ».[1]

فعن طريق الكناية يستطيع المرء أن يشفي غليله في خصمه وتقديم حجّته دون أن يجعل له سبيلاً، وبدون أن يشوّه صورة الأدب، وهذا ما لمسناه عند (ابن زيدون) فهو يحاول أن يثبت لنا ويقنعنا ويلزمنا الحجّة بأن الوزير ليس له مكانة فهو منحط ومجنون.

وأكيد أنّ لهذه الصوّر الكنائيّة دوراً كبيراً في تقويّة الدّلالة الحجاجيّة وإيضاحها، ولأن الكناية واحدة من الصوّر الفنيّة تؤدي ما تؤديه تلك الصوّر، من « نقل التجارب الأدبية إلى المتلقي بشكل مؤثر وبصياغة أدبية جميلة تتضافر جميع مكونات الصّور لتشكل في النهاية نسيجًا لغويًا يتم من خلاله نقل الفكرة المراد تبليغها ». [2]

وحسبها في ذلك أن تضع المعاني في صورة المحسوسات، فهذا ما ظهر جلياً في الرسالة والملفت للانتباه أن هذه الصوّر الكنائيّة من الوهلة الأولى متسمة ببعض الغموض، لكنها لا تستحيل إلى لغز مستغلق على الإفهام، إذ يجد السامع لذة كبيرة في اكتشاف خبايا كل كناية، ولعل هذا ما يحسّ به كل دارس وهو بصدد فك شفرات هذه الكنايات وهذا يدل على قوة مخيلة (ابن زيدون) التي فاقت الحدود مع ما يعانيه من حبّ وصراع داخلي.

ومع هذا لاحظنا صور كنائيّة حجاجيّة بسيطة لا ترقى إلى المستوى المطلوب، وهذا لا يرجع إلى عجز الكاتب، بقدر ما يرجع إلى اعتباره يحترم متلقيه (ابن عبدوس).

[1]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، (البيان والمعني والبديع)، ص: 110.

[2]- بشير كحيل:الكناية البلاغية،مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2004،ص:260.

4- المجاز:

المتفق عليه أنّ « المجاز هو كل تركيب استعمل في غير ما وُضع له لعلاقة غير المشابهة، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إدارة الإسناد الحقيقي » [1]

يتبين لنا هذا القول أن المجاز هو كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

جدول رقم (6): يمثل حجاجية المجاز في الرسالة

الشواهد	نوع المجاز	علاقته	الدلالة الحجاجية
« للجوار ذمة »[2]	مجاز عقلي	الكليّة	– الكاتب هنا بدل أن يقول الجار قال الجوار، فهنا نلمس مبالغة بديعة أكثر إقناعًا وحجّة.
« للضيافة حرمة »[3]	مجاز عقلي	الكليّة	– هنا أيضا بدل أن يقول الضّيف قال الضّيافة وهي مبالغة بديعة.
« بعثت من يزعجك إلى الخضراء »[4] »[4]	مجاز مرسل	الجزئية	– (ابن زيدون) هنا ينتقم من الوزير فبدل أن يقول إلى الجنّة قال الخضراء وهي صفة من صفاتها فهو يريد قتله والتخلص منه.
« كليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك »[5]	مجاز مرسل	الجزئية	– هنا الكاتب بدل أن يقول بأنه ساعده من كل الجوانب اختار العزّة من بين كل الجوانب
« وجساسًا إنما قلته بأنفتك »[6]	مجاز مرسل	الجزئية	– هنا الكاتب (ابن زيدون) أيضا كسابقته اختار الأنفة بدل كل تلك الأمور
« مهلهلاً إنّما طلب ثأره بهمتك »[7]	مجاز مرسل	الجزئية	اختار الكاتب الهمّة أي همة الشخص بدل الشخص بحد ذاته وهي حجّة للتقليل من شأن الوزير

[1]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، (البيان والمعني والبديع)، ص: 93،98.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 655.

[3]- المصدر نفسه، ص: 655.

[4]- المصدر نفسه، ص: 678.

[5]- المصدر نفسه، ص: 639.

[6]- المصدر نفسه، ص: 639.

[7]- المصدر نفسه، ص: 639.

كما هو ملاحظ، فإن الصوّر المجازية في الرسالة الهزلية كادت تنحصر فيها يُسمى بالمجاز المرسل والمجاز العقلي أما علاقتها فكانت بين الجزئيّة والكليّة.

والملاحظ أيضا أن الكاتب قد اعتمد على المجاز أيضا في تشكيل رسالته، وإذا كان ذلك بشكل أقل مقارنة مع الصوّر الشعرية السابقة، كما كانت الفعلية للمجاز المرسل على نظيره العقلي، غير أن وظيفة مجازات (ابن زيدون) فكانت لها دلالة حجاجية في معظمها أفادت في إيجاز المعنى وشحنه، ومن ثم أكسبته تأثيرا أكبر في المتلقي واستمالة وجذب عقله.

ومن هنا يتبين لنا أنّ الحجاج يشكل سبيلاً مع المجاز إلى الإقناع، فالمتأمل لطبيعة المجاز العقلي والمرسل يرى أنها في الغالب تؤدي وظيفة حجاجية في تأدية المعنى المقصود بإيجاز.

وخلاصة القول أن الصوّر الشعرية في رسالة (ابن زيدون) هو اعتماده على الحجج البلاغية التاريخية القديمة، وهذا ما زاد في تقوية الرسالة.

ونصل في ختام بحث الحجاج إلى أن الصوّر البيانية في كل أنواعها، تشبيه، استعارة، كناية، مجاز، أعطت طابعًا موسيقياً وقيمة حجاجية للنّص، حيث تلعب دوراً فعالاً في الإقناع والتأثير، فهي تشكل صورة هامة في بناء حجاجية النّص لما لها من قدرة على استمالة النفوس وجذب العقول.

خلاصة الفصل:

في ختام هذا الفصل نخلص إلى أن خطاب الرسالة الهزلية مادة دسمة للدراسات التداولية لما فيه من قضايا لغوية وسياقية، كما أن هذا الخطاب غني بجوانب مهمة من الدرس، فقد تنوعت فيه الأفعال الكلامية بمختلف أنواعها ويزخر باللغة الحجاجية إذ نلمس في معظم عباراته بعد حجاجيًا، يحاول من خلاله المتكلم إقناع السامع، كما لا ننسى إسهام الإشاريات ودورها في بناء خطاب الرسالة وإحالة مبهماته على مراجعها الحقيقية.

الفصل الثاني

تجليات الأبعاد التداولية في الرسالة الجدية لابن زيدون الأندلسي

أولا- الإشاريات

ثانيا- أفعال الكلام

ثالثا- الحجاج

عتبة:

بعدما قمنا بتخصيص الفصل الأول لعرض الجانب النظري لثلاثة مسارات التي عنت بها الدراسات التداولية ؛ وهي: الإشاريات ونظرية أفعال الكلام وأخيرا الحجاج، وتطبيق هذه الأبعاد التداولية على الرسالة الهزلية لتكتمل الصورة بين الجانب النظري والتطبيقي، ودراسة هذه الرسالة دراسة تداولية وفق آليات هذه المسارات الثلاثة (الإشاريات، أفعال الكلام، الحجاج) فقمنا بعرض الجانب النظري ثم طبقنا مباشرة على الرسالة الهزلية.

وفي هذا الفصل سنقوم بتطبيق هذه الأبعاد على الرسالة الجدية ودراسة هذه المدونة دراسة تداولية وفق آليات منهج هذه المسارات.

ولكن قبل الخوض في التّطبيق سوف نقوم بذكر سبب كتابة الرسالة.

سبب تأليف الرسالة:

شارك (ابن زيدون) في تأسيس حكومة جهورية بزعامة (ابن جهور)، وإن كان لم يشارك في ذلك بالسيف والقتال، وإنما كان له دور رئيسي في توجيه السياسة وتحريك الجماهير، وذلك باعتباره شاعرا ذائع الصيت وأحد أعلام قرطبة، ومن أبرز أدبائها المعروفين، فسخّر جاهه وثراءه وبيانه في التأثير في الجماهير وتوجيه الرأي العام وتحريك الناس إلى الوجهة التي يريدها، وقد حضي (ابن زيدون) بمنصب الوزارة في دولة(ابن جهور)واعتمد عليه الحاكم الجديد في السفارة بينه وبين الملوك المجاورين، إلاّ أنّ (ابن زيدون) لم يقتنع بأن يكون ظلًا للحاكم واستغل أعداء الشاعر ومنافسوه هذا الغرور منه وميله إلى التحرر والتهور فأوغروا عليه صدر صديقه القديم ونجحوا في الوقيعة بينهما، ومن أهم أعداء (ابن زيدون) الذين وأوقعوا بينه وبين (ابن جهور)هو أبو عامر بن عبدوس الذي كان من أشّد منافسيه في حب (ولاّدة) والتي ذكرنا من أخبارها في الفصل الأول، فكان (ابن عبدوس)يغالي في التودد إليها فأرسل برسالة يستميلها إليه فلما علم (ابن زيدون) بذلك كتب إليه رسالة على لسان

(ولاّدة) المعروفة بالرسالة الهزلية التي أخذناها كأنموذج فطبقنا عليها في الفصل الأول والتي سخر منه فيها وجعله أضحوكة على كل لسان، وهو ما أثار حفيظة (ابن عبدوس) عليه فصرف جهده إلى تأنيب الأمير عليه حتى سجنه، وبذلك أصبح الطريق خاليا أمام (ابن عبدوس) ليسترّد مودة (ولاّدة).

وقد كتب (ابن زيدون) هذه الرسالة وهو في سجنه متوسلاً بها للأمير ابن جهور، مستعطفا بها حتى يعفو عنه ، ويخرجه من السجن ولكن محاولاته باءت بالفشل[1]، وقد كانت هذه الرسالة من روائع الأدب العربي الأندلسي والتي قال فيها صاحب تمام المتون: « وما أوردتها على أحد إلاَّ رقَّصت أعطافه، وجنى من غصونها ما استلذ قطافه، وملكت حبة قلبه، بما فيها من اللّطافة (.....) وهذا هو النثر الذي من حلّ ساحته قال: الضيافةْ الضيافةْ ! وهذا هو الترسل الذي من حطَّ به برحاله أثقل النوال بالتحف التحافة »[2] .

وبعد ذكرنا لسبب إنشاء هذه الرسالة سوف نعمد إلى استخراج الإشاريات من الرسالة وسنقوم بتحديد مرجعها من خلال سياق الرسالة، والمعلومات التي تحيل إليها هذه الإشاريات.

أولا: تطبيق آليات الإشاريات في الرسالة الجدية

1: الإشاريات الشخصية (personal deictics)

وردت في الرسالة الجدية ل(ابن زيدون) الإشاريات الشّخصية، فاستعمل الضمير الشّخصي الدال على المتكلم وحده مثل: " أنا " ، وذلك في موضعين من الرسالة:

فكان الموضع الأول في قوله: « وإني لأتَجَلَّدُ، وأُري الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعضع فأقول: هل أنا إلاَّ يَدٌ أدماها سوارها وجبين عضّ به إكليله ؟ ومشرفيّ أَلْصَقَهُ بالأرض صاقله، وسمهريّ عرضه على النار مثقفه »[3].

[1]- ينظر: ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص :680.

[2]- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، د ت، ص: 4.

[3]- ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص :683.

فإذا قمنا بدراسة تداولية لهذا العنصر الإشاري من خلال سياق الرسالة، نجد أنّ (ابن زيدون) قد استعمله ليعود به على نفسه كمتكلم في الرسالة، فـ" أنا " من خلال سياق الرسالة تعود على (ابن زيدون) لأنه هو من كتب هذه الرسالة إلى أميره وسيده وصديقه القديم يستعطفه بها ويطلب صفحه ليخرجه من السجن.

واستعمال (ابن زيدون) العنصر الإشاري " أنا " تأكيدا منه على أنه سوف يتجلّد وسوف يكون صلبا صابرا ثابتا ،غير مبالٍ بالأمر الذي سينزل به، ولو كان ذلك صعب شاق احتماله، ولذلك قال لأتجلّد وأرى الشامتين أني لا أتضعضع لما نزل بي منك سيدي فأكابر نفسي وأريها الباطل حقًا، وقال: ما أنا إلاَّ يدٌ أدماها سوارها الذي تحلّت وتزيّنت به وجبين عضّ به تاجه الذي وضعه فوقه ليتجمل به ويتحلى بجواهره فما ألوم أحداً فعل بي ذلك ثم قال أنا سيف وضعه على النار من يجلوه من الصدأ وإن كان محمله على الكتف ورمح عرضه على النّار مقومة وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح فما أعد ذلك شيء غريب.[1]

إذن ، فاستعماله الضمير " أنا " للدلالة على المتكلم وحده لا غير، فهو في هذا المقطع في حالة عتاب على نفسه وأنه يحمّل نفسه كل المسؤولية لما حدث، مؤكدا أنه سوف يتحمل أي عقاب يسلطه عليه (سيّده) وأنه استعمل كل هذا لينال شفقة سيده بأنه معترف بذنبه تائب عليه وأنه لن يعود إليه مهما كلف الأمر ذلك حتى يطلق سراحه.

استعمل العنصر الإشاري نفسه في موضع ثانٍ ليدل به أيضا على نفسه في الرسالة وذلك حين قال: « والله ميسّرك من إطلابي بهذه الطَلِبَة، وإشكائي من هذه الشكوى، بِصَنِيعَةٍ تصيب منها مكان المصنع، ويد تستودعها أحفظ مستودعٍ، حسبمَا أنت خليق له، وأنا منك حريّ به، فذلك بيدك وهين عليك »[2] فاستعماله للعنصر الإشاري " أنا " ، دلالة به على المتكلم وحده ؛ وهو (ابن زيدون).

[1]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص : من 65 إلى 67.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص: 714- 715.

وفي سياق الرسالة نلاحظ أنه استعمل هذا العنصر الإشاري بعدما طلب من صديقه القديم الإسعاف وبعدما ترجاه ليخرجه من السجن ويزيل عليه هذه البليّة التي حلّت به ؛ لأنه كان يلتمس فيه الإحسان والنعمة والعفو وأنه يرى سيّده يضع النعمة في خير مكان ويحفظها ويصونها، كأنه يريد أن يقول: إنّك يا سيّدي بقدر ما أنت جدير بالإحسان فأنا أهل له منك، وهذا الأمر بيدك وتستطيع فعله بسهولة إلى درجة أنه هين عليك لما تملكه من مقام؛ لأنك رئيس قرطبة.[1]

فتداولية استعمال هذا العنصر الإشاري الشّخصي " أنا " الذي يعود على المتكلم المفرد ، والمتكلم في الرسالة هو ابن " زيدون " فمن سياق الرسالة نجد أنه يحال أن يقول (لابن جهور) أنا صديقك القديم ليذكره بالأيام الماضية ، أنا صديقك الحميم القديم الذي كان واقفاً معك في كل الظروف ضارباً معك بكل ما يملك أنا الذي عملت جاهداً حتى أوصلتك إلى ما أنت عليه، أَلاَ يسعني أن أنال هذا الطلب الصغير منك؛ وهو عفوك عليّ كيف لا وأنت جدير بالإحسان وأنا أهل له منك.

وفي مواضع أخرى استعمل ضمير المخاطب " أنت " ، وهو عنصر إشاري يعود في مرجعيته حسب سياق الرسالة على (ابن جهور) في المقطع السابق من الرسالة وقد استعمل هذا العنصر الإشاري بعد أن ترجاه في أمر طَلْق سراحه من السجن ، بعد أن مدحه بصفات حميدة مثل: الإحسان والعفو وبعد أن مجّد مرتبته العليا التي يتنصّبها ، وبعدها استعمل العنصر الإشاري " أنت " ليشير به إلى الملك (ابن جهور) لا غيره لأن (ابن زيدون) كتب هذه الرسالة (لابن جهور) فهو الشّخص المقصود في هذه الرسالة وتداولية استعمال هذا الضمير تعود إلى تحسيس (ابن جهور) بأنه كان صديقه الوفي الأمين، واستعمال هذا الضمير يكون غالباً عندما يكون الخطاب بين شخصين من المرتبة الاجتماعية نفسها .

[1]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص: من 376 إلى 384.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أنه يلمّح (لابن جهور) بأن لا ينسى الماضي الجميل جمعهما وأنهما كانا جزءً لا يتجزأ فكيف لك اليوم أن تتركني أتعذب في غيابات السّجن وأتألم وأنت لا تحرك لذلك ساكناً وأنت صاحب الشأن في هذه الدولة وأنت رئيسها.

كما استعمل (ابن زيدون) في رسالته الجدية مجموعة من ضمائر الغائب الدالة منها على المفرد والجمع فنجده يستعمل ضمير الغائب الدال على الجمع المذكر في قوله في الرسالة: « فكيف ؟ ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشحُ، ونبأ جاء به فاسق، وهم الهمَّازون المشاؤون بنميم، والواشون الذين لا يلبثون أنْ يصدعوا العصا » [1] .

استعمل (ابن زيدون) هذا العنصر الإشاري الشّخصي (هم) حسب سياق الرسالة يشير به إلى كل من سعى في التفريق بينه وبين صديقه الحميم ولذلك نراه يطرح سؤال يقف من خلاله حيران بقوله (كيف؟) وكأنه يريد أن يقول: كيف أتعرض لهذا النّكال؟ وألاقي هذا العقاب مع أني غير مذنب، وما هي إلاّ نميمة من أعدائه الذين يسعون بينها بالفتنة ونقل الأحاديث الكاذبة المثيرة لإيقاع الإغراء ونشر العداوة بين الأحبة ولذلك نجده استعمل هذا العنصر الإشاري (هم) للدلالة على هؤلاء الذين وصفهم الهمّازون المشّاؤون بنميم وهم الذين سعوا إلى تفريق هذه الجماعة التي تجتمع على المحبة والصفاء والنقاء.[2]

ومنه فتداولية العنصر الإشاري هي الشّخصي (هم) حسب سياق الرسالة يعود على العدد الكبير من أعداء (ابن زيدون) الذين أوقعوا به السجن ، وأن مرجع هذا الضمير من سياق الرسالة هم هؤلاء الأعداء.

وضمائر الغائب خاصة الدالة على الجمع تعود مرجعيتها حسب آن ريبول في النتائج التي توصلت إليها والمتعلقة بالضمائر إلى تمثيل عدد لا متناهي من الأفراد.

[1]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 695، 696.

[2]– ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: من 225 إلى 228 .

كما استعمل العنصر الإشاري نفسه (هم) في موضع آخر من الرسالة وذلك في قوله: « لعارف أنَّ الأدب الوطن الذي لا يُخْشَى فِراقُه، والخليط الذي لا يتوقع زياله، والنسب الذي لا يخفى، والجمال الذي لا يجفى ثم ما قرانُ السعد للكواكب أبهى أثرا وأسنى خطرا من اقتران غنيّ النفس به، وانتظامها نسقاً معه، فإنّ الحائز لهما الضارب بسهم فيهما وقليل ما هم ».[1]

فالملاحظ أن (ابن زيدون) قبل استعمال العنصر الإشاري الشّخصي (هم) في هذا المقطع من الرسالة قد أثنى على نفسه بمجموعة من الخصال الحميدة التي لا تجتمع إلا فيه ، وهذه الخصال هي الجمع بين الأدب البارع والنفس العفيفة ونجده يؤكد ذلك بقوله: « فإن الحائز لهما الضارب بسهم فيهما و " قليل ما هم " فتداولية استعمال هذا العنصر الإشاري من سياق الرسالة أن (ابن زيدون) يميء إلى أنه قد جمع بين الأدب البارع وغنى النفس وشارك فيهما بنصيب وافر وهي صفات لا يملكها غيره الكثير بل هم ندرة نادرة »[2]، وأن مرجعية هذا الضمير (هم) تعود على الأشخاص الذين يتمتعون ويجمعون بين هذه الخصال، وذلك ليبين لسيّده أنه لا يتمتع بتلك الخصال من قومه غيره فكيف لك يا سيّد القوم أن تزج بمن يملك هذه الخصال الفريدة في غيابات السجن وتصبح هذه الموهبة الفريدة التي لم تتوفر لملك غيرك.

فـ(ابن زيدون) هنا وبهذا الضمير يحاول أن ينبه (ابن جهور) إلى أنه عقد فريد ، وأنّ من وجب أن يكون في السجن ؛ هم الذين فرّقوا بيني وبينك.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص :705، 706.

[2]- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 223 .

كما نجده يستعمل من ضمائر الغائب الضمير (هي) و (هو) وذلك في قوله: « وحاشى لله أن أعد من العاملة الناصبة، وأكون كالذبالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق فلك المثل الأعلى، وهو بك وبي فيك أولى ».[1]

نلاحظ في هذا المقطع من الرسالة أن (ابن زيدون) ينزه نفسه ورئيسه بقوله: « حاشى لله ، ثم يقول بعدها : أن أعد من العاملة الناصبة والمقصود بها أن يكون وجهي مثل وجوه الكفار التي عملت في الدنيا وتعبت دون أن تفوز بالجزاء في الآخرة أو يكون كالذبالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق والذبالة هي الفتيلة ».[2]

هنا استعمل (ابن زيدون) العنصر الإشاري (هي) للدلالة على غير العاقل ؛ أي للدلالة بها على الفتيلة المنصوبة التي تضيء للناس ، وهي تحترق، ففي هذا المقطع من الرسالة نلاحظ أن (ابن زيدون) يلوم بطريقة غير مباشرة ملكه(ابن جهور)، ويخشى أن يكون بعدما قدمه له خدمات جزاءه مثل جزاء الكفار عمل بلا جزاء وخسران في الدنيا والآخرة. أو أن يكون مصيره كالذبالة يحرق نفسه ليضيء (لابن جهور) ويكون جزاءه في النهاية السّجن مثل الذبالة والفناء وهنا إنّ تداولية استعمال العنصر الإشاري كان للتأكيد على المصير الواحد لـ (ابن زيدون) والكافر والذبالة ، وأنّ مرجعية هذا العنصر من سياق الرسالة عودته على شيء غير عاقل؛ وهي الذبالة.

وفي المقطع نفسه استعمل (ابن زيدون) عنصراً إشارياً شخصياً آخر (هو) حين يقول: « فلك المثل الأعلى وهو بك وبي فيك أولى » وكأنه يريد أن يقول له: والمثل الأعلى أولى بك وبي كذلك إذا كان فيك فأنت سيّدي وأنّ رعيتك فكلا الحالين مخصوص بك، والمثل الأعلى هي الصفة العليا والمقصود أن الفضل في كلا الحالتين يعود (لابن جهور) ، ويؤكد هذا صاحب تمام المتون؛ بقول الإمام الشافعي:

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص : 702، 703.

[2]- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: من 305 إلى 307.

« قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زرته فلفضله أو زارني فبفضله، فالفضل في الحالين له».[1]

إذا نظرنا إلى تداولية استعمال هذا العنصر الإشاري الذي يعود في مرجعيته حسب سياق الرسالة على (المثل الأعلى) نجد أنّ (ابن زيدون) يحاول أن يقول (لابن جهور) أنّ المنزلة التي أنت عليها الآن قد كانت بفضلي كيف لا وأنا الذي نظر الأعمى إلى مدحي لك والثناء عليك وأسمعت كلماتي التي نصرتك بها وعززت بها صفك أيام الخلافة الأموية من به صمم ؛ أي أنّ هذه المنزلة التي تحتلها يا(ابن جهور)نحن شريكان فيها فكيف يكون لي هذا الجزاء الأليم وهذه النهاية البشعة وكيف لك ألاّ تعفو عن ذنب التقصير إكراما لحرمة الوفاء.

2: الإشاريات الزمانية:

الإشاريات الزّمانية هي كلمات تدل على زمان يحدده السّياق بالقياس إلى زمان التّكلم، وزمان التكلم في الرسالة الجدية ل(ابن زيدون) هو الوقت الذي تواجد فيه (ابن زيدون) في السّجن فكتب بهذه الرسالة لسيّده ومولاه وأميره(ابن جهور)يتوسل إليه فيها بأن يطلق سراحة ويخرجه من السّجن وعذابه.

وقد استعمل (ابن زيدون) في هذه الرسالة مجموعة من الإشاريات الزمانية على طول الرسالة، فاستعمل العنصر الإشاري الزماني (الدهر) في قوله: « وإني لأتجلّد وأرى الشامتين أنّي لريب الدهر لا أتضعضع ».[2]

نلاحظ أن (ابن زيدون) استعمل هذا العنصر الإشاري الزماني (الدهر) ليدل به على زمان البلية التي حلّت به، ومدة هذا العنصر الإشاري من خلال سياق الرسالة استغرقت مدة البلية كلها منذ أن سلّط عليه سيّده هذا العذاب إلى وقت فراره من السّجن.

[1]- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص: 307، 308.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 683.

وكان (ابن زيدون) يريد أن يقول في هذا المقطع من الرسالة أني أتكلف الثبات والصّبر واللامبالاة بالأمر الذي نزل بي وخاصة فرح الشامتين والتشفي بي للخراب الذي حلّ بي وهو صعب يشق احتماله.

إذن ، فاستعمال العنصر الإشاري الزماني (الدهر) من خلال سياق الرسالة الجديّة تعود مرجعيته إلى المدة التي قضاها (ابن زيدون) في السّجن ؛ أي من تسليط العقوبة عليه إلى غاية خروجه من السّجن فراراً وما يؤكد ذلك هو زمن الفعل (أتجلّد) و(أري) فكلاهما في المضارع مما يدل على مدة تواجده في السّجن.

كما أورد عنصراً إشارياً في الرسالة حين قال: « وهذه النّبوة غمرة ثم تنجلي، وهذه النكبة سحابة صيف عن قريب تقشع »[1]. فالعنصر الإشاري الزماني (الصّيف) قد دل به (ابن زيدون) في سياق الرسالة على أن هذه النكبة لن تطول مثلها مثل سحابة الصّيف ، فالنكبة هي المصيبة والعدول من الخير إلى الشر[2] وهذا ما حلّ حقيقة ل(ابن زيدون) فقد كان ينعم في الخيرات في قصر الملك، وعدل إلى نقمات غيابات السجن وعذابه الأليم.

لقد كان استعمال (ابن زيدون) للعنصر الإشاري « سحابة صيف » دلالة على أنّ مدة هذه النكبة لن تطول كثيرا ، وإن كانت هذه الفترة طويلة حقيقة إلاّ أنه يراها قصيرة إذا ما قارنها بمدة النعم التي حفي بها من طرف ملكه(ابن جهور)، فإحالة هذا العنصر الزماني (الصّيف) تجسد تشبيهاً بين مدة هذه النكبة والمدة التي تستغرقها سحابة الصّيف لكي تنقشع ومدتها سوف تكون قصيرة لا محال.

ونقع أيضا على استعمال عناصر إشارية زمانية في قول (ابن زيدون): « ومع اليوم غد ولكلِ أجلٍ كتاب ».[3]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 684.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 75.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص :685، 686.

نلاحظ في هذا المقطع استعماله ثلاثة عناصر إشارية هي: (اليوم)، (غد)، (أجل) وإذا حللنا تداولية هذه العناصر الإشارية من خلال سياق الرسالة نجد أن (ابن زيدون) استعمل هذه العناصر متتالية هكذا لأنه كان متفائلاً بخروجه من السّجن وأن سيده سيقوم بالعفو عليه؛ فالعنصر الإشاري الزماني اليوم يدل على ما يعيشه من أيام شاقة ومتعبة ومحزنة في السّجن وأنه كل يوم يتطلع فيه إلى غدٍ ، قد يكون مشرقا فيخرج مما هو فيه ، فلذلك استعمل العنصر الإشاري الزماني (غد) ؛ أي أنه كلما مضى يوم عليه في السّجن كان يتطلع فيه لغذ قد يكون سارا بالنسبة له.

ولو أنّ المدة قد طالت عليه وهو يتعذب في سجنه إلا أنه لم يفقد الأمل في سيده وصاحبه يوماً، في أن يخلي سبيله ولذلك كان دائما ينتظر ذلك اليوم الذي سيأتي والذي سوف يطلق سراحه فيه، ولذلك نجده يقول: « لكل أجل كتاب » والأجل المدة ولكل أجل كتاب أثبته الله فيه، لا يتقدم عنه ولا يتأخر[1]، فـ(ابن زيدون) مؤمن بأن هذه العقوبة مقدرة له من عند الله وأن تاريخ خروجه كذلك له أجله فلا يتقدم عنه ولا يتأخر.

وبهذه العناصر الإشارية الزمانية الثلاث: (اليوم)، (غد)، (أجل) قد دلنا (ابن زيدون) على ما كان يمر به كل يوم وما كان ينتظر قدومه ليوم غدٍ وعدم فقده للأمل في ملكه وسيّده وكان يعلم أن المدة التي سيقضيها في غيابة السّجن مصيبة مقدّرة له من عند الله وأنه عند انتهاء مدتها يحين أجل خروجه من السّجن.

كما نجده يستعمل عناصر إشارية أخرى في قوله: « وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت إلى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم أحد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريضة وجئت بالإفك على عائشة الصدّيقة ».[2]

[1]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 83.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 690، 691.

فما نلاحظه في هذا المقطع من الرسالة أن (ابن زيدون) محتار في أمره فنراه يتساءل عن حجم الذنب الذي ارتكبه مع سيّده حتى لا يسعه عفوه عنه ويضرب لذلك أمثالا وأياما سجلها التاريخ، بأن نال كل ظالم جزاءه بالخيبة والعقاب الشديد، فهو يرى نفسه قد دخل التاريخ، وأنه قد حلّ به ما حلّ بهؤلاء الأقوام من خزي وأنه مثل الذي نقض بيعة العقبة وهو ذنب كبير لا يغتفر وأنه كمن تسبب في موت حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم والكثير من أبطال المسلمين يوم أحد.[1]

فتداولية استعمال هذه الإشاريات الزمانية مثل (يوم أحد) ، فمن خلال سياق الرسالة نجد (ابن زيدون) يشبه هذا اليوم الذي خسر فيه المسلمون الكثير من أبطالهم وغنائمهم وغيرها مثل اليوم الذي أصدر فيه حكم العقاب والسّجن عليه من طرف صديقه القديم، ف(ابن زيدون) يرى أن خسارة هذان اليومان متساوية (يوم أحد) و(يوم إصدار الحكم بالسّجن عليه).

بعدها يقول في الرسالة: « وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريضة وهذه حادثة حدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كاد المسلمون يضعون سلاحهم بعد غزوة الخندق حتى أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنهوض لغزو بني قريضة قائلا: لا يصلين أحد منكم العصر إلاّ في بني قريضة فنفروا إليها وأدركهم العصر بالطريق فصلاهما بعضهم فهماً منه لأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنّ القصد منه السرعة وأخرها الباقون حتى فات وقتها امتثالا لنص الأمر الكريم، فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً منهم ».[2]

ف(ابن زيدون) يرى أنه أخطأ خطأً يسيراً يستطيع سيّده أن يغفره له بسهولة فكان يتوقع منه العفو عليه مثلما عفا الرسول صلى الله وسلم على صحابته الكرام حين لم يصلوا العصر في وقته فلم يؤنب فيهم أحداً ولقد استعمل هذا العنصر الإشاري ليضرب لملكه مثلاً لحادثة حدثت مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق

[1]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص:من 155 إلى 162.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 691.

وكان قد سامح صحابته، لكي يتأثر الحاكم بهذه القصة والحادثة التي سجلها التاريخ وذلك بأن يفك قيضه من السّجن.

ونلاحظ أن (ابن زيدون) قد ضرب أمثالا كثيرة لأيام مشهورة سجلها التاريخ واستعملها (ابن زيدون) في هذه الرسالة وذلك دليل أنه ذا ثقافة دينية وأدبية وتاريخية جد واسعة ، ومن هذه الأيام مثلا ما نجده في قوله: « واعتديت في السبت »[1] ، فهو يوحي لنا بهذا العنصر الإشاري (السبت) بأنه ارتكب خطيئة تساوي خطيئة بني إسرائيل، وذلك بأن كان الصيد محرم عليهم (يوم السبت) ولكنهم عصوا الله في ذلك فانتقم الله منهم أشدّ انتقام.

فمن سياق الرسالة نلاحظ أن (ابن زيدون) يساوي بين خطيئة وخطيئة بني إسرائيل، حيث اصطادوا في يوم هو محرم عليهم فانتقم الله منهم أشد انتقام[2] وأن ذنبه قد ارتقى إلى هذه الدرجة حتى ينال ذلك العذاب من مَلِكِه وصديقه.

وتداولية استعمال هذا العنصر الإشاري كان بمثابة مثال يضربه (ابن زيدون) (لابن جهور) فهو بذلك يحاول أن يقوم له أني لم أخطأ خطأً بحجم خطئهم حتى أنال جزاءً مثل جزائهم.

كما استعمل (ابن زيدون) عنصرين إشاريين عند قوله في الرسالة:

« ألست الموالي فيك غرَّ قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجماً

ثناء يضن الروض منه منورا ضحى ويخال الوشي فيه مُنَمْنَمَا ».[3]

والمراد من البيتين أن (ابن زيدون) يريد أن يقول (لابن جهور) أني « قد أوليت في الثناء عليك بنظم القصائد التي أضاءت لك في ظلام الليل مع النجوم كالنجوم، بمدح إذا قرنته بالرياض رأيته قد غمرها بالأضواء الوهّاجة كالضحى، وإذا وازنته بالغلائل والأبراد وجدته مزخرفا بأبهى الألوان ».[4]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص: 689.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص:من 122 إلى 124.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 700.

[4]- المصدر نفسه، ص: 701.

فنلاحظ أن (ابن زيدون) قد استعمل العنصر الإشاري الزماني (الليل) ليذكّر (ابن جهور) بوقت مبايعته على الرئاسة ومساندته له ودعمه في ذلك بكل ما يملك من قريحة، كيف لا وهو صديقه المقرّب حينها.

وأنه استعمل العنصر الإشاري الزماني الضحى للدلالة على الفترة الزمنية التي قال فيها (ابن جهور) مقصده بأن تولى الرئاسة وما كان ذلك إلا بالدعم الذي قدمه صديق حميم لصديقه بأن أخرجه من الظلمات إلى أنوار الرئاسة.

ثم نجده يقول بعدها: « وهل لبس الصباح إلاّ برداً طرّزته بفضائلك ». [1]

نلاحظ في هذا المقطع من الرسالة أنّ (ابن زيدون) يبالغ في وصف سيّده (ابن جهور) والثناء عليه والثناء الحسن يقال فيه: أنه لا يخفى وصف فلان على أحد ولا أوضح لعين من النجوم ومن الصباح، ووجه التشبيه بين الثناء بالبرود المرقومة هو أن الثناء الحسن يقال فيه فلان يحوك أوصاف فلان وبنسجها على منوال غريب ويرقم برودها؛ وما يريدون بذلك إلاّ المبالغة.[2]

وكان يريد أن يقول له لقد صنعت فيك من الثناء الخالد ما هو حلية للدهر وزينة للصباح.

إذن فاستعمال العنصر الإشاري الزماني (الصباح) الذي استعمله (ابن زيدون) في هذه الاستعارة كان الهدف منها التأكيد على الفضل الكبير الذي قدمه (ابن زيدون) (لابن جهور) مند أن تعارفا إلى أن أوصله إلى الرئاسة وهذه فترة طويلة فكيف يستطيع (ابن جهور) أن ينسى هذا الفضل.

وقوله أيضا: « واستملى الربيع إلاّ تناءاً .... من محاسنك ».[3]

وهنا نلاحظ أنه استعار الربيع بهجته على الدنيا من محاسنك أي أنه لا يوجد أحد في الدنيا ممن يسمع عنك إلا ويسمع بما قلته فيك.

---

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 701.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 288 - 289.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ص:701 .

ونجده قد استعمل عنصر إشاري آخر وهو (يوم حليمة) في قوله « ما يوم حليمة بسرٍّ »[1] وهو من الأمثال يُضرب للأمر المشهور الذي لا يمكن إنكاره و « حليمة هي بنت الحارث الأكبر بن أبي شمر ملك غسّان، وكان أبوها قد وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء وانتدب لاغتياله مائة من الأبطال المشهورين فأخرجت لهم بنته حليمة طيباً وطيبتهم به ».[2]

وقال المبرد في هذا اليوم « هو أشهر أيام العرب يقال: ارتفع في هذا اليوم من العجاج ما غطي عين الشمس حتى ظهرت الكواكب وهو يضرب في كل أمر متعاظم مشهور ».[3]

فنلاحظ أن استعمال هذه الإشارة الزمانية إنما ليوحي بها (ابن زيدون) لصديقه القديم إلى الأيام التي كان ينظم فيها القصائد التي والى بها في الثناء على (ابن جهور) أصبحت مشهورة مثل يوم حليمة ولا يمكن إنكارها.

3- الإشاريات المكانية:

كما قلنا سابقا في الفصل الأول أن الإشاريات المكانية هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم؛ ومكان (ابن زيدون) وقت كتابة الرسالة هو لما كان في السجن بقرطبة في الحكومة الجهورية التي يتزعمها ابن جهور.

و هو المعنى الذي يؤكده محمود أحمد نحلة في كتابه : « يستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا وذاك، وهنا وهناك ونحوها إلاّ إذا أوقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان فهي تعتمد على السياق المادي المباشر ».[4]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص :701.

[2]- المصدر نفسه، ص :701.

[3]- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 295.

[4]- محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 21.

ولقد وقفنا في الرسالة الجدية لـ (ابن زيدون) على عديد العناصر الإشارية المكانية، حيث يظهر دورها في إمكانية تحديد حدوث الوقائع التاريخية المشهورة التي تم استعمالها في الرسالة فهي بذلك تحيل على مرجع مكاني ما وهذا ما يساعد على تأويل الأحداث وفهم القصد.

ومن أمثلة ذلك ما نجده في قول (ابن زيدون) في الرسالة: « وأمرت ببناء السرح لعلي أطلع إلى إله موسى ».[1]

والسرح؛ هو القصر والبناء العالي وفي هذا المقطع يشير (ابن زيدون) إلى قصة (فرعون) وطلبه من وزيره (هامان) ببناء سرح عال كما ورد في الآية الكريمة من سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾.[2]

نلاحظ من سياق الرسالة أن (ابن زيدون) استعمل هذا العنصر الإشاري المكاني (السرح) وهو القصر الذي بناه (هامان) لـ (فرعون) في مصر ليطلع به إلى إله موسى فيقتله وكان سبب تهدم هذا السرح هو كفر فرعون بالله سبحانه وتعالى وتكبره في الأرض، وهذا العنصر الإشاري تعود مرجعيته التداولية على قصر (ابن جهور) في قرطبة فنجد. (ابن زيدون) يتساءل ما إن كان الخطأ الذي ارتكبه مع (ابن جهور) بحجم خطأ فرعون مع ربه حتى يحلّ به ما حلّ بفرعون، وذلك بأنه كان منعماً في قصر (ابن جهور) وانتهى به المسار في السجن، أي الإنتقال من مكان راق وهو القصر، إلى مكان دنئ وهو السجن.

نلاحظ أن (ابن زيدون) قد استعان بذكر مكان حدوث هذه الواقعة التاريخية المشهورة لما كان يسأل ملكه عن حجم الذنب الذي ارتكبه لينال به هذا الجزاء القاسي الذي سلطه (ابن جهور) عليه.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ص: 688، 689..

[2]- سورة القصص الآية 38.

ونجده يستعمل مجموعة من الإشاريات المكانية لوقائع تاريخية مشهورة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله: « وتأولت في بيعة العقبة ونفرت إلى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم أحد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريضة ».[1]

وفي هذا المقطع استعمل (ابن زيدون) أربعة من الإشاريات المكانية؛ وهي (العقبة، بدر، أحد قريضة).

فالعقبة هي مكان يقع بين مكة ومنى، وبدر هو مكان وقوع غزوة بدر الكبرى، أما أحد هو جبل يقع شمال المدينة، وهو مكان الْتَحم عنده المسلمون بالمشركين فقُتل من المسلمين حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكثيرا من أبطالهم، أما قريضة فهي موطن بني قريضة من المشركين وهو موطن محصّن.[2]

فنلاحظ أنّ هذه العناصر الإشارية المكانية تُحيل في مرجعيتها من خلال سياق الرسالة على مرجع خارجي يكمن في مكان وقوع الأحداث وتأويل كلام (ابن زيدون) في هذا المقطع من الرسالة ،كأنه يريد أن يقول لو حدث أن أحداً نقض البيعة متأوّلا، لكان فيما ناله من العقاب ما يكفي وكان المكان المستحق هو السجن.

أو أنه نفر إلى العير مع المشركين من أهل قريش وحارب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم لكان مصيره الموت أو أنه كان مكان عبد الله بن أبي بن سلّول رأس المنافقين بالمدينة الذي انخذل عن المسلمين يوم أحد بثلث الناس وترك النبي وأصحابه في الميدان، فكان خطأه بقدر خطأ هؤلاء ولكان العذاب الذي سلطه عليه مستحق ولكان السجن أحق عقاب يكفيني.

ولكنني يا سيّدي لم أفعل شيء فأنا بريء من كل ما أوصل إليك فكيف تسلط علي هذا العذاب الأليم وتضعني في هذا المكان اللئيم (السجن).

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 690، 691.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: من 41 إلى 164.

ويستعمل إشارة مكانية أخرى في قوله: « ورجمت الكعبة وصلبت العائد بها على الثنية لكان فيما جرى علي ما يُحْتَمَلُ أن يُسمّى نكالا ويدعى ولو على المجاز عقابا ». [1]

الإشارة هنا في هذا المقطع إلى « محاصرة الحجاج لمكة المكرمة أثناء ثورة عبد الله بن الزبير بها، وقذفه المسجد الحرام بحجارة المنجنيق من فوق جبل أبي قُبيس حتى تهدم، ثم قتله عبد الله بن الزبير وصلبه إياه على الثنية وقد سمي الزبير عائذا؛ لأنه عاد بيت الله الحرام ». [2]

فإذا حلّلنا تداولية استعمال هذه الوقائع التاريخية المشهورة نجد أن (ابن زيدون) يحاول أن يقول (لابن جهور) أنني لو فعلت هذه الذنوب جميعا لكان ما وقع علي من العقاب كافيا، بل كان فوق ما أستحق من جزاء، وأصبح تنكيلا وحسبك من العقاب ما يثير رحمة الأعداء قبل الأولياء.

كما نجده يستعمل في هذه الرسالة عنصرا إشاريا آخر؛ هو (هذا)، وهو من أسماء الإشارة، وذلك في قوله: «أينما توجه ورد أعذب منهل وحطَّ في جناب قبولٍ فنزل، وضوحك قبل إنزال رحله، وأُعطيَ حكم الصبي على أهله

وقيل له: أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وصديق ». [3]

ففي هذا المقطع نلاحظ أن (ابن زيدون) يثني على نفسه لما كان سفيرا (لابن جهور) مع ملوك الطوائف ولما كان كل القوم معجبون به كل الإعجاب ويتمنون ميله إليهم لبراعته وحسن سيرته، وخاصة عندما يحل ضيفا عند ملوك الأندلس كان يضاحك قبل إنزال رحله، ويقابل بالبشر والترحاب لأول قدومه قبل إنزال متاعه.

ونجده قد استعمل العنصر الإشاري (هذا) الذي تعود مرجعيته التداولية حسب سياق الرسالة إلى كل مكان كان ينزل فيه كسفير (لابن جهور)، واستخدمت هذه الإشارة المكانية للإحالة على مرجع عام؛ أي أنها لا تدل على مكان محدد، وكأنه يريد أن يقول في هذا المقطع من الرسالة أنني أقابل دائما بالبُشْر والترحاب لأول قدومي في أي بلد وطأته .

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 694، 695.

[2]- المصدر نفسه، ص: 695.

[3]- المصدر نفسه، ص: 706، 707.

كما استعمل بعدها مجموعة من الإشاريات المكانية ليدل بها على وطنه الذي يحبه وهو قرطبة، وهو الموطن الذي يخشى فراقه ونجد ذلك في قوله: « غير أن الموطن محبوب، والمنشأ مألوف، واللبيب يحن إلى وطنه حنين النعيب إلى عَطَنِه، والكريم لا يجفو أرضا بها قوابله ولا ينسى بلدا فيه مراضعه

أحب بلاد الله ما بين منعج إليَّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها ».[1]

وفي هذا المقطع نلاحظ أن (ابن زيدون) نقد ما قرر من أنه الأدب الذي يخشى فراقه بل أنه يخشى من فراق وطنه، ولذلك استعمل مجموعة من الإشاريات المكانية ليعود بها على وطنه الحبيب مثل (الموطن محبوب المنشأ مألوف، اللبيب الذي يحن إلى وطنه الكريم لا يجفو أرضا بها قوابله ، بلداً فيها، قوابله) وكل هذه الإشاريات المكانية تعود مرجعيتها حسب سياق الرسالة على مسقط رأسه بقرطبة؛ ففي هذا المقطع وكأنه يحاول أن يقول أن الشيء الوحيد الذي أخشاه هو مفارقة وطني الذي ولدت فيه، وتربيت فيه، والذي أحبه حباً لا يوصف، وأنّ نفسي قد طبعت عليه، فكيف لي أن أفارقه لما بلغت به سن الشباب.

ومن خلال ما تقدم نتوصل إلى أن:

استعمل (ابن زيدون) مجموعة من الإشاريات المكانية منها ما تعود على مرجع داخلي ومنها ما تعود على مرجع خارجي:

أما التي تعود على مرجع خارجي فهي أماكن الوقائع التاريخية المشهورة التي استعملها (ابن زيدون) في الرسالة، وذكر أماكن وقوع هذه الأحداث يعود إلى أهميتها في خطاب الرسالة، وذلك لفهم الأحداث وفهم القصد من استعمالها؛ أي معرفة المرجع المكاني الذي يساعد على تأويل الأحداث وفهم القصد، ومنها ما تعود على مرجع داخلي، وهي ما دل بها على وطنه (قرطبة) والأماكن التي كان يزورها عندما كان سفير (لابن جهور).

استخدم (ابن زيدون) العنصر الإشاري المكاني (هذا) ليدل به على مرجع عام فهي لا تدل على مرجع أو مكان بذاته.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 708، 709.

4- الإشاريات الخطابية:

سبق وأن قلنا في الفصل السابق بأن « هناك إشاريات للخطاب، تُعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تُذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي آخر أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج إلى أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم لكن أو بل، وقد يعنى له أن يضيف إلى ما قال شيئاً آخر فيقول فضلا عن ذلك وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض قبل، وقد يريد أن يرتب أمرا على آخر فيقول من ثم (...)الخ ».[1]

وانطلاقا من مبدأ آخر وهو أنه « من الطبيعي أن تستعار إشاريات الزمان وإشاريات المكان لتستخدم إشاريات للخطاب، فكما يقال الأسبوع الماضي يمكن أن يقال الفصل الماضي من الكتاب (...) وقد يقال هذا النص للإشارة إلى نص قريب، أو تلك القصة إشارة إلى قصة بعد بها القول ».[2]

اعتمادا على ما أقرت به هذه المبادئ وقفنا على عديد من الإشاريات الخطابية في الرسالة الجدية ل(ابن زيدون) ومنها ما نجدها في المقطع الآتي من الرسالة: « ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك؟ والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك؟ والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك؟ والتحامل الذي لم يف به احتمالك؟ ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين العدل؟ أو مسيئا فأين الفضل؟،إلاّ يكف ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب فضلك أوسع ».[3]

---

[1]- محمود أحمد نحلة: أفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص: 24، 25.

[2]- المرجع نفسه، ص: 24.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 687.

ما نلاحظه في هذا المقطع أن (ابن زيدون) قد استعار العنصر الإشاري المكاني ليستخدمه إشارة خطابية (فهذا) لا تدل من سياق الرسالة على المكان، بل وردت إشارة إلى لاحق بعدها في الرسالة وهو (الذنب) حين كان (ابن زيدون) يتساءل عن حجم الذنب الذي لم يستطع(ابن جهور)أن يغفره له.

وبعدها نجده يستعمل العنصر الإشاري الخطابي (إلا يكن) في المقطع نفسه، وفإن استعماله لهذا العنصر الإشاري بعدما كان محتارا في حجم الذنب الذي ارتكبه حتى ينال به هذا الجزاء ليصل بعدها إلى مقطع اليقين في مناقشة هذا الأمر؛ وأنه مهما كان هذا الذنب كبيرا، فإن عدل الملك سوف يكون أوسع؛ أي أنه يريد أن يقول له: إني لم أرتكب ذنبا، وحتى إن أخطأت وكان لي ذنب ففضلك عليّ أوسع بأن تغفر لي هذا الذنب.

أورد (ابن زيدون) العنصر الإشاري الخطابي في البداية ليدل به على لاحق، ويشير إلى الذنب الذي ارتكبه وفي نهايته استعمل عنصر إشاري يشير به إلى سابق فبعد التساؤل عن حجم الذنب يصل إلى خلاصة بأنه مهما كان هذا الذنب فمن المفروض أن تغفره لي يابن جهور وأنت تعلم أني بريء، فإن كنت بريئا فأين عدلك وإن كنت مذنبا فأين فضلك.

واستعمل إشارة خطابية في موضع آخر من الرسالة حين يقول: « ففيم عبث الجفاء بأذمتي؟ وعاث العقوق في مودتي؟ وتمكن الضياع من وسائلي؟ ولمَ ضاقت مذاهبي؟ وأَكْدَت مطالبي؟ وعلام رضيت من المركب بالتعليق؟ بل من الغنيمة بالإياب؟ »[1] ؛ أي بعدما لعب الجفاء ولهى، وعبث بحرمتي وبصلة المودة والقربى وأفسدها العقوق وكفران النعمة (ومنه عقَّ الولد أباه إذا جحد فضله وأساء جزاءه) وضاقت بي الطرق، وقلّ خيري، واكتفيت بتعليق أمتعتي على الدّابّة؛ أي اقتنعت من عظيم الأمر باليسير.[2]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله: ص: 697، 698.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 270.

فتداولية استعمال هذا العنصر الإشاري الخطابي (بل) كانت للاستدراك على كلام سابق وتأكيده؛ وكان (ابن زيدون) يريد أن يقول (لابن جهور) في هذا المقطع: إنني يا سيدي بعدما عبثت ولهوت بحرمتي ووصلي لك بالمودة والقربى، وبعدما جحدت فضلي، وأسأت جزائي، فأنا لا أريد أن أكون في المنزلة التي كنت عليها معك بل أنا أطلب منك أن تخرجني من السجن، وذلك أمر يسير عليك لذلك نجده يقول: « بل من الغينمة بالإياب » أي بالعودة سالم الجسد حراً على أن أعود إلى سفارتك.

ونجده يستعمل العنصر الإشاري الخطابي نفسه في مقطع آخر من الرسالة حين يقول: « وإن كنت لم أكسك سلبياً ولا حلَّيتك عُطْلاً، ولا وسمتك غُفْلا، بل وجدت آجراً وجيصاً فبنيت، ومكان القول ذا سعة فقلت ».[1]

ومعنى هذا المقطع أني يا(ابن جهور)لم أكسك من ثنائي ما كُنْتَ منه عارياً ولا حليتك به، وكنت عاطلاً من الزينة، ولم أميزك به وكنت مجردا من التمييز وأني لم أخلع عليك من الثناء ما ليس فيك بل وجدت أساسا أبني عليه فبنيت مكان القول واسعاً فيك فقلت.[2]

وتداولية استعمال هذا العنصر الإشاري الخطابي (بل) كانت للاستدراك على قول سابق فهو ينفي أنه كساه بالثناء وعليه بعدما كان عاريا ولا حلاه بذلك لمَّا كان عاطلاً على الزينة، وأنه لم يضع له علامة خصوصية يميزه بها بعدما كان مجردا من التمييز، بل إنه لا فضل له في مدحك؛ لأنه في ذلك كمن وجد آجرا وجيصا فبنى بيتا من ذلك وشيّد مكان، لكنه في ذلك بعض الفضل وكما يقول الخفاجي في هذا المقام:

« ولي فيك غر القوافي قصائد تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ الرواة لها رشفا

ينم بها طيب النسيم إذا هفا وينشرها نور الرياض إذا رفا

وما أدعي هذا الكلام لأنه صفاتك إلاّ أنني أحسن الوصفا ».[3]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 701، 702.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 269 إلى 303.

[3]- ، ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 300.

أي أن الفضل الذي يعود إليه هو حسن الوصف في نظم القصائد الجميلة في مدح(ابن جهور)والثناء عليه.

كما نقع على استعماله للإشاريتين خطابيتين في مقطع آخر في الرسالة حين يقول: « ولمّا توالت غرر هذا النشر واتسقت دُرره فهزَّ عِطف غلوائه، وجرُّ ذيل خُيَلاَئه، عارضه النظم مباهيا، بل كايده مداهيا ».[1]

في هذا المقطع نلاحظ أن (ابن زيدون) قد استعمل العنصر الإشاري المكاني (هذا) ليستعمله إشارة خطابية ومرجعية هذا العنصر الإشاري من سياق الرسالة يعود على النثر من هذه الرسالة لأنها ممزوجة بين الشعر والنثر.

ففي بداية هذا المقطع نجد أنّ (ابن زيدون) يصف رسالته بالحسن ويثني عليها ويثني على فصاحة ألفاظها وبلاغة معانيها وينبّه على محاسنها، ويأتي جواب (لمّا) في قوله: « عارضها النظم مباهيا بل كايَدة مداهيًا ».

ويريد بهذا الكلام أنّ النثر إذا تقدم فلا بأس للمتكلم أن يلحقه بشيء من النظم؛ لأنّ النفوس ترتاح إلى ذلك.[2]

وتداولية استعمال العنصر الإشاري الخطابي (بل) في هذا المقطع استدراك على بداية المقطع وكأن (ابن زيدون) يريد أن يقول (لابن جهور) إنّ قريحة النثر قد باءت لك بما تملك، ولكن قريحة الشعر لم تصبر على ألاَّ تقول شيء، وقد غارت ممّا أجادت به قريحة النثر وأرادت أن تساهمه بأن يكون لها نصيب بهذه القصيدة التي شبهها بالعروس المجلوة في أثوابها وهي: « القصيدة الميمية في ثوابها وحليّها وملابسها فأراد بالثياب ألفاظها؛ لأنّه تخير لها ألفاظا فصيحة عذبة التركيب عَرِيَّة خالية من الألفاظ الحوشية الغريبة التي ينبو عنها السمع وأراد بالحلي المعاني التي قصدها،فإنها بليغة كأنها أنواع الجوهر التي يضمها الحلي وأراد بالملابس ما فيها من الثناء؛ لأن الثناء يوصف بالطيب على ما هو مشهور في العرف ».[3]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 716.

[2]- ينظر :خليل بن أبيك الصفدي:تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون،ص:385، 386.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 390.

كما نجده يستعير مجموعة من العناصر الإشارية المكانية مثل (هذه وهذا وذاك) ليستعملها كإشاريات خطابية وذلك في مواضع عدة في الرسالة ونذكر منها مثلا قوله: « هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوّة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة سحابة صيف عن قريب تقشع ».[1]

ففي هذا المقطع ثلاث إشاريات خطابية ومن سياق الرسالة نجد أن مرجعية (هذا) تعود على لاحق وهو (العتب)، ومرجعية (هذه) تعود على غمرة،(وهذه) الثانية تعود مرجعيتها على (النكبة).

فنلاحظ أنه استعمل مجموعة من إشاريات الخطاب التي تدل على القريب فهو بذلك يأمل أن العقاب قد دنا أجله وأنه بهذه الرسالة سوف يفرج عنه سيده بدون شك.

ومما سبق نصل إلى أن:

- أكثر (ابن زيدون) من استعمال العنصر الإشاري الخطابي (بل) حيث استعمله ثلاث مرات في الرسالة وهو عنصر إشاري يستعمل للاستدراك على كلام سابق أو الإضراب عنه.

- كما أنه أكثر من استعارة العناصر الإشارية المكانية التي استعملها كإشاريات خطابية مثل : هذا وهذه وذاك.

5- الإشاريات الاجتماعية:

كما ذكرنا في الفصل السابق بأن الإشاريات الاجتماعية « هي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حين هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودّة ».[2]

والعلاقة في الرسالة الجدّية بين المتكلم في الرسالة؛ وهو (ابن زيدون) والمتلقي لهذه الرسالة ؛وهو (ابن جهور)؛ هي علاقة رسمية ،حيث إنّ(ابن جهور)رئيس قرطبة و زعيم الحكومة الجهورية، و(ابن زيدون) صديقه وسفيره السابق حيث كان يعتمد عليه_ كما قلنا سابقا _ في السفارة بينه وبين الملوك المجاورين.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 684.

[2]- محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 25.

ولأن العلاقة رسمية بين المتكلم والمتلقي في هذه الرسالة فلذلك نجد (ابن زيدون) يكثر من صيغ التبجيل لأن (ابن جهور) أكبر مقاما من (ابن زيدون)، ف (ابن زيدون) يراعي هذه المسافة الاجتماعية و يحافظ على الحوار في إطار رسمي.

ومن النماذج التي وقعنا عليها في هذه الرسالة ما نجده في بداية رسالته: « يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه، واعتدادي به، وامتدادي منه ».[1]

استعمل (ابن زيدون) إشاريتين اجتماعيتين في هذا المقطع وهما (مولاي) و (سيدي) في مطلع الرسالة وتعود مرجعية كل من هذين العنصرين من خلال سياق الرسالة ومقامها على(ابن جهور) فهو المخاطب في الرسالة، وهذه الرسالة موجهة إليه من طرف صديقه القديم الذي انتهى به المطاف–كما قلنا سابقا – في السجن ولأنها رسالة رسمية لذلك نجد (ابن زيدون) بدأ بصياغات التبجيل هذه (مولاي) و (سيدي) فالمولى هو الحليف و المنعم و المعتق و العتيق وكل من ولّى أمراً فهو وليّه، وسيدي: من ساد قومه ويسودهم فهو سيدهم؛ أي فضل عليهم، وارتفع عن طبقتهم لما امتاز عنهم بمناقبه، والوداد: المحبة.[2]

فتداولية استعمال هذين الإشاريتين الاجتماعيتين (مولاي وسيدي)كانت لتبجيل ابن جهور؛ فهي صيغ تبجيلية؛ لأنّ العلاقة رسمية.

فيجب أن تكون فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر مقاما منك واستعمالهما منذ البداية ليحافظ على الإطار الرسمي للحوار في هذه الرسالة ولكي يراعي أيضا المسافة الاجتماعية ؛لأنها رسالة من سجين جريح إلى مولاه وسيده الذي لطالما كان صديقه وحبيبه وجليسه، وقد بعث بهذه الرسالة وهو معتمد عليه في إخراجه من السجن، فابن جهور بمثابة عدّة ادخرها (ابن زيدون) ليوم حاجته ؛وهو هذا اليوم.

[1]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ص :680.

[2]– ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 30، 31.

كما نجده يستعمل إشارة اجتماعية أخرى في قوله: « ومن أبقاه الله تعالى ماضي حدّ العزم، واري زند الأمل، ثابت عهد النعمة؛ إن سلبتني _ أعزك الله _ لباس إنعامك وعطّلتني من حلي إيناسك، وأظمأتني إلى برود إسعافك، ونفضت بي كفَّ حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك ».[1]

فمرجعية العنصر الإشاري (أعزك الله) من خلال سياق الرسالة تعود على (ابن جهور) ومعناه أبقاك الله عزيزا يا بن جهور كما أنت اليوم.

ففي هذا المقطع كأن (ابن زيدون) يريد أن يقول لسيده مادحاً مبجلا له: أنت الذي أبقاه الله وعزمه ماضي الحد وأمله واري الزند ونعمته ثابتة العهد، ثم إنك إن أخذت مني واختلست ما كان لك من لباس الإنعام وتركتني عاملا من حلي إنسك بي، وأنسي بك هو الأولى، وكأنّ إنعامه كان بمنزلة اللباس فارتجعه وسلبه ،وكأن إيناسه كان له بمنزلة الحلي فعطّله منه وترك جيّده بلا قلادة عاريا من حلي الأنس.[2]

ويستعمل عنصرين اشاريين آخرين في قوله: « وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول: فقسا ليزدجروا، ومن يك حازمًا، فليقس أحيانا على من يرحم ».[3]

فالإشارة الاجتماعية (عبد) تعود مرجعيتها حسب سياق الرسالة ومقامها على (ابن زيدون) أما الإشارة الاجتماعية (سيده) فتعود مرجعيتها على ابن جهور.

فتداولية استعمال هذين العنصرين الاشاريين في هذا المقطع وكأن (ابن زيدون) يريد أن يقول لسيده: وأعدّ نفسي عبد ذهب به سيده فيما فعل به مذهب الذي قال هذا البيت ؛لأنه يريد بذلك العذاب إصلاحه وتأديبه فهو مع رحمته له قد قسا عليه حتى يتأدب ولم يك من شأنه القسوة.

---

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 680، 681.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص 39، 40.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 684.

كما استعمل العنصر الإشاري الاجتماعي (سيدي) الذي يستعمل للتبجيل في قوله: « ولن يريبني من سيدي أن أبطأ سحابة أو تأخر غير ضنين غناؤه ».[1]

وتعود مرجعيتها دائما على(ابن جهور)من خلال سياق ومقام الرسالة وكأنه يريد أن يقول له: أنني لن أشك يوماً مذّ وعطاء سيدي(ابن جهور)حتى وإن طال أمر سجني وتعذيبي.

ويستعمل عنصر إشاري آخر الذي هو من صيغ التبجيل أيضا في قوله: « هذا إلى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي في الحظ من قربك، واعتقادي أن الطمح في غيرك طبع، والغني من سواك عناء والبدل منك أعور والعوض لقاء.

وإذا نظرت إلى أميري زارني ظناً به نظري إلى الأمراء ».[2]

فأمير تعود مرجعيتها حسب سياق الرسالة على ابن جهور، وفي هذا المقطع نجد (ابن زيدون) يعتز بانتسابه لأميره(ابن جهور)وما يزيدها اعتزازا به عندما ينظر إلى بقية الحكام والأمراء الذين يتميزون حسب نظرته بالنقص والضعف والهوان.

ومما سبق نخلص إلى أن:

العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمتلقي في هذه الرسالة هي علاقة رسمية فهي رسالة من (ابن زيدون) السجين إلى مولاه وسيده وأميره ابن جهور.

أكثر (ابن زيدون) من استخدام صيغ التبجيل والثناء على سيده والتي تعود مرجعيتها دائما على (ابن جهور) من خلال سياق ومقام الرسالة.

[1] – ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 684، 685.

[2] – المصدر نفسه،ص: 709، 710.

استطاع (ابن زيدون) الحفاظ على الإطار الرسمي للخطاب في الرسالة من خلال هذه الإشاريات الاجتماعية.

كما استطاع أن يراعي بها المسافة الاجتماعية بينه وبين سيده.

ومن خلال هذه الآليات التي أرسى معالمها سيرل للإعلانيات، حاولنا استخراج الأفعال التي تؤدي هذه الوظيفة لكننا لم نقع عليها في هذه الرسالة.

ثانيا: تطبيق آليات أفعال الكلام في الرسالة الجدية (عند سيرل)

من خلال المعالم التي أرساها سيرل بعد تطوير تصور أوستين في تصنيف الأفعال الإنجازية فقدم بديلا لها أحكم وأضبط وقد أقام تقسيمه على أسس منهجية ثلاثة هي الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة وشرط الإخلاص وقد جعلها أوستين خمسة أصناف نذكر منها ما موجزة في هذا الجدول:

نوع الفعل الإنجازي	غرضها الإنجازي	شروطه	اتجاه المطابقة	أنواع الأفعال الذي يقل فيها
الإخباريات (التقريرات) Assentives	الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما	أفعال الإخباريات تحتمل الصدق أو الكذب	اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم	معظم أفعال الإيضاح وكثير من أفعال الأحكام
(الطلبيات) التوجيهات (الإرشادية) Directves	غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما - المرجع فيها هو المخاطب - المتكلم يحاول التأثير في السامع	شرط إخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيء في المستقبل	اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات	يدخل هذا الصنف الاستفهام والأمر والطلب والتوسل، الرجاء، الاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنصح والتحدي
الالتزاميات (التعهدات) commissives	غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل - المرجع فيها هو المتكلم المتكلم لا يحاول التأثير في السامع	وشروط الإخلاص هو القصد والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيء في المستقبل	اتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات	يدخل هنا الصنف الوعد والعرض، القسم والوعيد والوصية
التعبيريات Expressives	غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوفر فيه شرط الإخلاص	كل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية	ليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات	تعبر عن حالة نفسية معينة كالشكر والاعتذار والتهنئة والمواساة والترحيب
الإعلانيات (التوكيدات) Declarations	الأداء الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي. تحدث تغيرا في الوضع القائم	لا يحتاج إلى شرط الإخلاص	اتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد تكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات	يدخل هذا الصنف: الإدعاء والإعلان والحكم وصيغ العقود

جدول رقم (7): يمثل الأسس المنهجية التي اعتمدها سيرل في تقسيمه للأفعال الانجازية. [1]

[1]- محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي العاصر، ص:78 إلى 80.

انطلاقا من الجدول أعلاه في تصنيف الأفعال الإنجازية، سنحاول من خلال تلك القواعد والقوانين التي أرساها سيرل استخراج هذه الأفعال في محاولة تطبيقية للآليات الواردة.

وتأسيسا على مقام كتابة هذه الرسالة فلا شك أنها ستكون فيها من الأفعال الإنجازية الشيء الكثير، وذلك لتعدد الأغراض في الرسالة. وسوف نحاول استخراج هذه النماذج ومحاولة تطبيق آليات أفعال الكلام عليها حسب سيرل، وستكون البداية بالإخباريات.

1- الإخباريات:

1- إن الغرض الإنجازي للإخباريات حسب محمود أحمد نحلة « هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية proposition يعبر بها عن هذه الواقعة وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح وكثير من أفعال الأحكام ».[1]

واعتمادا على هذا المنطلق فإننا سنحاول أن نقف على مجموعة من أفعال الكلام الإخبارية في الرسالة الجدية لـ(ابن زيدون) ومن أمثلة ما نجده في هذه الأفعال في هذه الرسالة قوله: « ما أراني إلاّ لو أني أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، وأمرت ببناء سرح لعليَّ أطَّلِعُ إلى إله موسى، وعكفت على العجل، واعتديت في السبت (....) فكيف؟ ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشخ، ونبأ جاء به فاسق، وهم الهامزون المشاؤون بنميم، والواشون الذين لا يلبثون أن يصْدعوا العصا، والغوَاةُ الذين لا يتركون أديمًا صحيحًا، والسُّعَات الذين ذكرهمْ الأحنفُ بن قيس فقال: ما ظنك بقوم الصدق محمود إلاّ منهم ».[2]

ففي هذا المقطع نلاحظ أن (ابن زيدون) يطلب رحمة ابن جهور؛ لأنه قد أصابه ما فيه كفاية من الآلام في السجن، إلاّ أنه بريء، لا يستحق أي عذاب، ولو أنه ارتكب مثل هذه الأخطاء جميعاً لكفاه ما ناله من عقابه

[1]- محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي العاصر، ص: 78، 79.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 688 إلى 696.

فكان أولى به أن يعدد مواقف الصفح، مخبراً(ابن جهور)بهذه المواقف، والاشادة بمواقف الحلماء منها وقد ابتدأ بأخباره بقصة إبليس، وتكبره عن السجود لآدم عصيانا منه لأمر الله تعالى، وقد استعمل (ابن زيدون) للإخبار بهذه المواقف الأفعال الماضية؛ وذلك لأن الإخبار يكون عن أمر مضى؛ ومن الأفعال التي استعملها هي (أمرت أبيت استكبرت، قال قلت، أمرت، عكفت، اعتديت، تعاطيت، شربت، قدت، عاهدت، تأولت، نفرت، انخذلت تخلفت، جئت أنفت زعمت، روّيت، مزقت، ضحيت، ضرب، كتبت، رجمت، صلبت، جاء، قال).

ولأن الغرض الإنجازي في الإخباريات هو نقل المتكلم واقعة ما، وهذا ما نجده متمثلا في هذا المقطع؛ حيث أن كل فعل إنجازي في هذا المقطع يخبرنا بواقعة تاريخية كتب لها الخلود.

ومن تلك الوقائع مثلا في قوله: « أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ».

فتداولية استعمال هذه الأفعال الماضية كانت للإخبار عن هذه الوقيعة، وأن هذه الأفعال قد حدثت وانقضت وأن حكم الله على إبليس بعد تكبره عن السجود لآدم عصيانا منه لأمر الله تعالى، كان حكم الله عليه بأن أخَّر له العذاب إلى يوم القيامة.

وهذه الحادثة صادقة لأنه ورد ذكرها في القرآن الكريم مرات عديدة واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم؛ لأن الأفعال الماضية تنطوي تحت أفعال الحكم فهي تدل على انقضاء الشيء وقت التلفظ به.

والفعل النطقي يتمثل في نطق (ابن زيدون) لألفاظ هذا المقطع في تناول المستوى العرفي للمتلقي.

والفعل القضوي يتمثل في مرجع وهو محور الحديث في هذا المقطع؛ وهو إبليس في هذه القصة، أما سياق الرسالة فإنه (ابن زيدون)، إذ يعتبر نفسه مثل إبليس حيث إنّ كل منهما ارتكب خطيئة.

والخبر فيها هو أنّ إبليس أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر، وفي سياق الرسالة فإن (ابن زيدون) كأنه ارتكب خطيئتة، وكل من المرجع والخبر يمثلان معًا القضية، وهي ارتكاب الكبيرة من طرف (ابن زيدون)، وإبليس طرد من الجنة وطرد (ابن زيدون) من قصر ابن جهور.

والفعل الإنجازي هو الإخبار بهذه القصة التي ارتكب فيها إبليس خطيئة مع ربه إلاّ أن الله أخره إلى يوم القيامة وأخرجه من الجنة وفي سياق الرسالة كأن (ابن زيدون) يريد أن يقول (لابن جهور) أن إبليس عصى الله فأخرجه من الجنة ولم يعذبه وأخر له العذاب ليوم القيامة أما أنت فقد أخرجتني من قصرك وسلطت علي شر العذاب.

والفعل التأثيري في هذا المقطع إنما ذكر (ابن زيدون) مواقف الصفح والتشييد بمواقف الحُلَمَاء وذلك لكي يتحلى(ابن جهور) بأخلاقهم ومواقفهم وأن يكون الصفح بيان ذلك، ولكن لم يصفح عنه فبقي في السجن إلى وقت فراره منه وكل أخبار هذه القصص تضمنت فعل نطقي تمثل في نطق (ابن زيدون) لهذه الألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح لأنها قد أدت وظيفتها الإخبارية بهذه القصص.

وأن كل قصة تضمنت فعل قضوي ويتمثل في مرجع وهو محور الحديث فيها جميعًا حسب سياق الرسالة وهو (ابن زيدون) الذي يمثل الجانب المخطئ دائما من كل قصة، فكل مخطئ في هذا المقطع يعود مرجعه على (ابن زيدون).

الواقعة التاريخية (الخبر) فيها دائما هو ارتكاب مفاده ارتكاب كبار الذنوب ويكون الحكم في آخر القصة غالبا بالصفح على المذنب إن أراد ذلك وفق شروط توضع له.

والفعل التأثيري المراد من كل هذه الأفعال هو التأثير في(ابن جهور)ودعوته للاقتداء بهؤلاء الحلماء ويعفو عنه ويخرجه من السجن.

ونذكر موقفا آخر لواقعة أخرى مثلا: وهي قصة نوح لما جاء الطوفان وذلك في قوله: " وقال لي نوح اركب معنا فقلت: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ".

فتداولية استعمال الفعلين الماضيين (قال، وقلت)؛ تدل على أن هذه الواقعة قد حدثت وانقضت، وأن ابن نوح رغم أنه كان كافراً إلاّ أنه أعْطي فرصة أخيرة قبل الطوفان، حيث طلب منه نوح الركوب معه في السفينة شرط الإيمان لكنه أبى فحلّ عليه ما حلّ على قومه فكان من المهلكين.

وأفعال هذه الحادثة صادقة وذلك لورود هذه الأخبار في سورة (هود الآية 42_ 43) واتجاه المطابقة في الأفعال الإخبارية تكون دائما من الكلمات إلى العالم.

أما الغرض الإنجازي من هذه الأفعال الماضية الإخبارية هو نقل (ابن زيدون) واقعة من التاريخ تحمل موقف الصفح عن ابن نوح إلاّ أنه أبى ذلك والإشادة بهذه المواقف.

ونجده يستعمل أفعالا انجازية وإخبارية في قوله : « أينما توجه وُرِدَ أَعْذَبَ مَنْهَلٍ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ فَنَزَلَ وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ، وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ وَقِيلَ لَهُ:

أَهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق ».[1]

ففي هذا المقطع من الرسالة؛ كأن (ابن زيدون) يريد أن يخبر (ابن جهور) أنه كان يجمع بين الأدب البارع وغنى النفس فلذلك كان أينما توجه أتى عين إحسان، وخير وحطّ في جناب قبولٍ وضوحكَ قبل إنزال رحله، وكانوا يلاقونه بالبِشْرِ وتهلل الوجه وإظهار السرور به.[2]

ففي هذا المقطع مزج (ابن زيدون) في استعماله بين الأفعال الماضية والماضية المبنية للمجهول؛ فمن الأفعال الماضية نذكر: (وَرَدَ، حَطَّ، نَزَل)، ومن الماضية المبنية للمجهول نذكر: (ضُوحِكَ أُعْطِيَ، قِيلَ).

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 707.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ،ص: 323 إلى 326.

فقد كان الغرض الإنجازي من هذه الأفعال الإخبارية هو نقل (ابن زيدون) ووصف كيف كان يُستقبل من طرف من يَحل عندهم ضيفًا.

وهي أفعال نراها صادقة من خلال المقام الذي كان فيه لما كان سفيرا (لابن جهور)، ولما كان جامعًا بين الأدب البارع وغنى النفس، فكانت كل القبائل المجاورة ترجوا مدحه وتشييده وخاصةً في شعره .

واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من الكلمات إلى العالم.

فالفعل النطقي في هذا المقطع يتمثل في نطق (ابن زيدون) الألفاظ وهي على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

والفعل القضوي يتمثل في مرجع هو محور الحديث في هذا المقطع من الرسالة وهو (ابن زيدون)، والخبر في هذا المقطع هو اجتماع الأدب البارع وغنى النفس اللذان جعلا منهً يُسْتقبلُ أحر استقبال ممن يحل عليهم ضيفا وكل من هذا المرجع والخبر يمثلان معاً قضية، وهي طريقة استقبال (ابن زيدون) عندما يحل ضيفاً.

وينبغي أن نشير إلى أن الفعل التأثيري ليس له أهمية كبيرة عند سيرل.

وأن الفعل التأثيري الذي كان يرجوه (ابن زيدون) من هذه الأفعال هو العفو عنه وإرجاعه إلى المنصب الذي كان فيه حتى يتفنن في أداء وظائفه كما كان ولكنه لم يكن ناجحا؛ لأن(ابن جهور)لم يَعْفُ عليه إلى غاية فراره من السجن، فالفعل التأثيري لم يظهر له ردة فعل ايجابية من طرف ابن جهور.

من خلال ماتقدم نصل إلى أن:

- الغرض الإنجازي فيها هو نقل واقعة ما، والإخبار عنها.
- أفعال الإخباريات أغلبها أفعال ماضية وهي أفعال تحتمل الصدق والكذب.
- اتجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات اتجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات إلى العالم الخارجي لأن الأفعال الماضية تكون قد انقضت وقت التكلم.
- الفعل النطقي فيها يتمثل في نطق (ابن زيدون) للألفاظ التي تكون المقاطع على نسق نحوي ومعجمي صحيح حتى تقوم بوظيفتها الإخبارية.
- كل من المرجع والخبر يمثلان القضية.

2- التوجيهيات: (directives)

إن الغرض الإنجازي للتوجيهيات هو « محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات (world _ to_ words)، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيء في المستقبل، ويدخل هذا في هذا الصنف الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع، والدعوة والإذن والنصح والتحدي ».[1]

واعتماداً على المبادئ التي جاء بها سيريل، فإننا وقعنا على عديد الأفعال من هذا الصنف:

منها الاستفهامية في قوله: « ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك؟ والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك؟ والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك؟ والتحامل الذي لم يف به احتمالك؟ ولا أخلوا من أن أكون بريئا فأين العدل؟ أو مسيئًا فأين الفضل ؟ ».[2]

ففي هذا المقطع من الرسالة التفاتة (ابن زيدون) إلى ما في ضميره من بقايا العَتَب فقال يستفهم منه: «ما هذا الذي صدر مني حتى إن عفوك لم يسعه، وهو ذنب صغير بالنسبة إلى كبير عفوك، وما هذا الجهل في حقي لتزج بي في السجن ولم يأت من ورائه حلمك وعقلك ».[3]

فالفعل النطقي يتمثل في نطق (ابن زيدون) لهذه الألفاظ المكونة لهذا المقطع على نسق نحوي ومعجمي صحيح والتي سمحت له بأداء وظيفته التوجيهية، فهي في متناول المستوى العرفي للمتلقي.

أما الفعل القضوي: يتمثل مرجع هذا المقطع في(ابن جهور)فهو المخاطب في الرسالة؛ لأن التوجيهات يكون المرجع فيها دائما هو المخاطب.

---

[1]- محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي العاصر،ص: 79.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص: 687.

[3]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ،ص: 89.

وقد استعمل في هذا المقطع مجموعة من الأفعال الذي يريد أن يستفهم منها وهي: (يَسَعْهُ، يَأْتِ، يَسْتَغْرِقه يَفِ).

فالفعل الإنجازي لهذه الأفعال في هذا المقطع هو الاستفهام.

والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو محاولة (ابن زيدون) توجيه (ابن جهور) إلى مراجعة نفسه ومعاتبتها على هذا الفعل والعفو عليه وإخراجه من السجن، وقد استعمل لذلك هذا الأسلوب الاستفهامي للتأثير فيه، فهو يحاول أن يعاتبه بطريقة غير مباشرة ليراجع نفسه في اتخاذ هذا القرار.

أما شرط الإخلاص قد تمثل في إرادته ورغبته الصادقة في التخلص من هذا العقاب والذي لن يكون إلاّ بعفو سيده عليه هو الأمر الذي يرجوه.

أما المحتوى القضوي في هذه الأفعال هو مراجعة(ابن جهور)نفسه في القرار الذي اتخذه ضد (ابن زيدون) رغم أنه بريء، ويعاتب نفسه على ذلك.

واتجاه المطابقة في أفعال التوجيهات يكون دائما من العالم إلى الكلمات الغرض التأثيري المرجو من هذا المقطع هو مراجعة (ابن جهور) نفسه وتأنيبها على ما فعله بصديقه المخلص الوفي.

الفعل المتوقع انجازه بعد هذا التأثير أن يعفو على (ابن زيدون) ويشفع له ويخرجه من السجن.

ونقع على الاستفهام أيضا في مقطع آخر في الرسالة عندما قال: « ومالك لا تمنع مني قبل أن أفترس؟ وتدركني ولَمَّا أُمَزَّق؟ أم كيف لا تتضرم جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك؟ وتتقطع أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك؟ فكيفَ؟ ».[1]

[1]– ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 699.

ف (ابن زيدون) يريد أن يقول (لابن جهور) مالك لا تدفع عني قبل أن يدركني الافتراس؟ وتلحقني قبل أن ينالني التمزيق؟ وكيف لا تخفف أنفاس المناظرين لي في التنافس على بلوغ منزلتي الكريمة عندك.

فالفعل القضوي يتمثل مرجع هذا المقطع في ابن جهور؛ لأنه المخاطب من الرسالة والمرجع في التوجيهات يعود على المخاطب.

ونلاحظ أن (ابن زيدون) استعمل مجموعة من الأفعال في هذا المقطع التي يريد أن يستفهم منها ومن هذه الأفعال (لا تمنع، تدركني، لا تتضرم، تتقطع) فالفعل الإنجازي فيها هو الاستفهام.

والغرض الإنجازي لهذه الأفعال في هذا المقطع هو محاولة (ابن زيدون) توجيه (ابن جهور) إلى نجدته والعفو عليه، والتعاون معه على إخفاة أنفاس أعدائه الذين يسعون إلى أخذ مكانته الكريمة عند سيّده.

ونلاحظ أن شرط الإخلاص قد تحقق في هذا المقطع وقد تمثل في رغبة (ابن زيدون) الصادقة في طلب المساعدة من صديقه القديم وسيّده.

ونجد أن المحتوى القضوي في هذا المقطع من الرسالة هو نجدة ومساعدة(ابن جهور)لصديقه القديم في المستقبل القريب بإخراجه من السجن والوقوف معه ضد أعدائه الذين فرقوا بينهما لينالوا منزلته.

أما اتجاه المطابقة فهو من العالم إلى الكلمات لأنها أفعال يرجى فعلها فهي قد تحدث في المستقبل.

فمقصدية هذه الأفعال هي أن يقوم(ابن جهور)بفعل وهو نجدة صديقه (ابن زيدون).

والغرض التأثيري المرجو من هذا المقطع هو أن يعاتب(ابن جهور)نفسه على عدم إغاثة صديقه المخلص ووقوفه ضده بعدما كان (ابن زيدون) واقفاً معه منذ مبايعته على تولي قرطبة، وأن يقول (ابن جهور) في قرارات نفسه أن جزاء الإحسان هو الإحسان.

والفعل المتوقع بعد هذا التأثير؛ هو إخراجه من السجن والوقوف إلى جنبه ضد من فعلوا ذلك به، وأن يرجعه لمنصبه القديم الذي كانت له منزلة كريمة فيه.

كما نجد صنفاً آخر من التوجيهات؛ وهو التوسل الذي كان في مطلع الرسالة عندما قال: « يا مولاي وسيّدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي به، وامتدادي منه، ومن أبقاه الله تعالى ماضي حدِّ العزم واري زند الأمل، ثابت عهد النعمة؛ إن سلبتني _ أعزك الله_ لباس إنعامك، وعطلتني من حلي إيناسك، وأظمأتني إلى بَرُودِ إسعافك، ونفضت بي كف حياطتك، وغضضت عني طرف حمايتك ».[1]

ففي بداية المقطع نلاحظ أن (ابن زيدون) يناجي(ابن جهور)وكأنه يريد أن يقول له متوسلا «يا صاحبي، يا أخي يا حبيبي (لأن الأصحاب كثيرة والإخوة أقل منهم والحبيب لا يكون إلاّ واحد) »[2] أنت الذي اعتمد عليه وأستند إليه في هذه النكبة، فأنت عدتي التي ادخرتها ليوم حاجتي.

وبعدها يقوم بمدحه قائلا: « الذي أبقاه الله وعزمه ماضي الحد وأمله واري الزند ونعمته ثابتة العهد فهو المضاء لحد العزم كأنه لا يعزم على شيء إلاّ أمضاه ونفّذَ فيه حده وواري زند الأمل، كأنه لا يأمل شيء إلاّ وهو يرى نوره وثابت عهد النعمة أي لا تغير له ذمة نعمة بل هي محفوظة أبداً عليه وهذه توطئة وتمهيد ليدخل به في الغرض الرئيسي وهو التوسل حين يقول (إن سلبتني، عطلتني، أظمأتني، نفضت، غضضت، نظر، سمع، أحس).

فالمرجع الذي تعود عليه هذه الأفعال هو ابن جهور؛ لأن التوجيهيات يكون المرجع فيها المخاطب دائما.

ونلاحظ أنّ (ابن زيدون) استعمل هذه الأفعال الماضية الدالة على التوسل وكأن (ابن زيدون) يريد أن يقول له: أتوسل إليك ألاّ تسلبني مرة أخرى الستر الذي أسدلته عليّ وألاّ تنتزع مني ما حليتني به من أنسك وإقبالك

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 681.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ،ص: 32.

وألاّ تعطشني من برد إغاثتك وألاّ تنفض مني كف رعايتك وألاّ تصرف عنّي بصرك وألاّ تترك وقايتي فأصير إلى المصائب والآلام فأسرع في الإفراج علي فأنا لا أقوى على الاحتمال أكثر.

فالفعل الإنجازي هنا هو التوسل.

والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو محاولة (ابن زيدون) التأثير في سيّده (ابن جهور) وبهذا التوسل فلا يجعله يضيع ويتيه فيبقى شماتة للأعداء.

الملاحظ أن شرط الإخلاص قد تحقق في هذا المقطع؛ لأن رغبة (ابن زيدون) كانت صادقة في الاعتذار والتوسل إلى سيّده ومن خلال رسالته كان يأمل أن يخرجه من السجن بعد قراءة (ابن جهور) لها.

المحتوى القضوي في هذا المقطع من الرسالة هو توقف (ابن جهور) على سلب (ابن زيدون) كل هذه النعم التي كان يتمتع بها في جواره من نعم وإناسة، وإسعاف وحياطة.

فمقصدية هذه الأفعال هي أن يقوم(ابن جهور)بإرجاع هذه النعم ل(ابن زيدون) وعدم حرمانه منها واتجاه المطابقة في هذا المقطع من العالم إلى الكلمات .

والغرض التأثيري المرجو من هذا المقطع هو أن يشفق (ابن جهور) لحال (ابن زيدون) بعد سلبه هذه النعم وبعدما جاءه متوسلا.

والفعل المتوقع أن يقوم به (ابن جهور) بعد هذا التأثير هو إرجاع هذه النعم إلى (ابن زيدون)، أو على الأقل إخراجه من السجن.

كما نجد صنفا أخر من التوجيهيات الذي هو الاستعطاف وذلك في قوله « ففيم عبث الجفاء بأدمتي؟ وعاث العقوق مودتي؟ وتمكن الضياع من وسائلي؟ ولِم ضاقت مذاهبي؟ وأَكدت مطالبي؟ وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالإياب، وأني غلبي المغلب، وفخر علي العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار ».[1]

نلاحظ أن (ابن زيدون) في هذا المقطع يستعطف ابن جهور، و يرسم نفسه ضعيفاً مغلوباً، ينال الشفقة من كل من يرى ، بعدما كان سفيراً في وزارة ابن جهور، وقد استعمل أسلوب الاستعطاف لينال به شفقة وعطف صديقه القديم.

وقد استعمل في رسم هذه الحالة المزرية التي آل إليها عدة أفعال منها: (عبث، عاث، تمكن، ضاقت أكدت رضيت، غلبني، فخر، لطمتني) والمرجع دائماً في هذه الأفعال يعود على ابن جهور؛ لأنه المخاطب في الرسالة.

ونلاحظ أنّ استعماله لهذه الأفعال الماضية جاء بدافع الاستغاثة بها في تجسيد الحالة المزرية التي آل إليها وحتى، ينال بها عطف وشفقة سيّده. وكأنه يريد أن يقول له: أنّ الجفاء قد عبث بأمذتي والعقوق قدْ عاثَ في مودتي والضياع قد تمكن من وسائلي، وأن مذاهبي قد ضاقت وأن مطالبي قد أكدت، وأني لم أعد أطمع في المناصب العليا وإنما أطلب الحرية فقط ، بعد أن غلبني المغلب، وفخر علي العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار.

فالفعل الإنجازي في أفعال هذا المقطع هو الاستعطاف.

والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هُو محاولة التأثير في (ابن جهور) لينال استعطافه وشفقته ولا يدعه يتعذب في هذا الوضع المزري الذي آل إليه في السجن، أما شرط الإخلاص فمتحقق ؛ لأنه صادق فيما يصوره له حيال وضعه.

[1]– ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 698، 699.

والمحتوى القضوي في هذا المقطع هو كسب عطف وشفقة(ابن جهور)من الوضع المزري الذي آل إليه (ابن زيدون) وإخراجه من هذا الموضع الكارثي الذي يعيشه في السجن. واتجاه المطابقة في هذا المقطع من العالم إلى الكلمات.

والغرض التأثيري المرجو من هذا المقطع هو عطف وشفقة (ابن جهور) لحال صديقه القديم.

الفعل التأثيري الذي يتوقع أن يقوم به (ابن جهور) بعد هذا التأثير هو تخليص صديقه من الوضع المزري الذي آل إليه بعدما كان سفيره وصديقه المخلص.

وأورد صنفا آخر من التوجيهيات، وهو الطلب عندما قال: « والله ميسرك من إطلابي بهذه الطلبة وإشكائي من هذه الشكوى، بصنيعة تصيب منها مكان المصنع، ويد تستودعها أحفظ مستودع، حسبما أنت خليق له، وأنا منك حريّ به، فذلك بيدك وهيّن عليك ».[1]

ف (ابن زيدون) يأمل من (ابن جهور) أن ينفد له هذا الطلب الذي يراه بسيطاً بالنسبة لمقامه وإسعافه بما رجاه في طلب إخراجه من السجن.

فالمرجع في هذا المقطع هو ابن جهور؛ لأنه المرجو من هذا الطلب.

ولقد استعمل (ابن زيدون) مجموعة من الأفعال في هذا المقطع منها: (تصّيب، تستودع) وهي أفعال مضارعة استعملها في الترجي من هذا الطلب ودلالته أمله في قبوله لهذا الطلب البسيط.

الفعل الإنجازي في أفعال هذا المقطع هو الطلب.

الغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو محاولة (ابن زيدون) إقناع سيده وترجيه ليقبل منه هذا الطلب الصغير الذي يراه هيّن في نظره، وأنه يستطيع أن يفعله بسهولة وهذا الطلب هو اخراجه من السجن والعفو عليه وتخليصه من

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 715.

عذاب السجن، وشرط الإخلاص نجده قد تحقق في هذا المقطع، فقد تمثل في رجائه بالطلب؛ لأنه يأمل ذلك من سيده .

والمحتوى القضوي في هذا المقطع هو رجاء تقبل (ابن جهور) طلب (ابن زيدون) البسيط الهيّن عليه وذلك لتخليصه من السجن، واتجاه المطابقة فهو في هذا الطلب من العالم إلى الكلمات؛ لأنها أفعال يرجى فعلها في المستقبل بعد قراءة الرسالة.

ومقصدية هذه الأفعال هي أنّ يتقبل(ابن جهور)هذا الطلب البسيط من صديقه الوفي وسفيره القديم الذي لم يقصر يوماً في أداء مهامه.

والغرض التأثيري المرجو من هذا المقطع أن يتفهم (ابن جهور) الأوضاع الكارثية التي يعيشها سفيره القديم في السجن وأن يحس بأن هذا الطلب هيّن بالنسبة للمقام الذي كان يتنصّبه (ابن زيدون)، وبالنسبة للسلطة التي يتمتع بها سيده؛ لأنه سيد القوم.

والفعل الذي يتوقع فعله هو قبول طلبه وكشف عذابه؛ لأنه صديقه القديم .

كما استعمل (ابن زيدون) صنف آخر من التوجيهيات؛ وهو التحدي ونجد ذلك في قوله : « وإنّي لأتجلد وأري الشّامتين أنّي لريب الدهر لا أتضعضع ».[1]

وكأن (ابن زيدون) يريد أن يقول: إنّي أتحدى كل العقوبات التي يسلّطها عليّ سيّدي، وسوف أتجلد وأتكلف الثبات، والصبر وعدم المبالاة بالأمور التي تنزل بي ولو كان ذلك أمراً صعباً يشق احتماله . [2]

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 683.

[2]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ،ص: 60.

وقد استعمل (ابن زيدون) مجموعة من الأفعال ليدل بها على هذا التحدي الذي سيواجه به الشامتين وعذاب سيّده عليه وهي: (لَأَتَجَلَدُ، أَرِيْ، لَا أَتَضَعْضَعُ).

فالفعل الإنجازي من أفعال هذا المقطع هو التحدي .

والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو تقبل (ابن زيدون) من سيّده كل هذا العذاب والإهانة من أعدائه، ورغم ذلك فهو يتحدى كل هذا ويأمل أن عفو سيّده سوف يكون قريباً؛ لأنه يرى أنّ الهدف من هذا العقاب هو تأديب من سيّده له .

ونلاحظ أنّ شرط الإخلاص في هذا المقطع قد تحقق؛ لأنه يرى أنّ عذاب سيّده تأديباً ويصبر عليه، بل ويتحدى شماتة الأعداء لأجله وفاءً منه للثقة التي يضعها فيه.

والمحتوى القضوي في هذا المقطع من الرسالة أنّ (ابن زيدون) قد تأذى وأن صبره قد طال في هذا التحدي وأنّ المراد من عذاب سيّده قد تحقق، وأنه قد آن الأوان ليطلق سراحه من هذا العذاب الطويل واتجاه المطابقة في هذا المقطع من العالم إلى الكلمات أيضاً.

ومقصدية هذه الأفعال هي أن يقوم (ابن جهور) برفع العذاب الذي يُسلَّط على (ابن زيدون) وهو شاق يصعب احتماله.

3- الالتزاميات (commissives)

الغرض الإنجازي من الالتزاميات « هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال ما العالم إلى الكلمات (word_ to _ words ، وشروط الإخلاص هو القصد (Intention)، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيء في المستقبل ».[1] ويدخل في هذا الصنف الوعد والعرض والقسم والوعيد والوصية.

الفرق بين الالتزاميات والتوجيهيات:

رغم أنّ اتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، إلاّ أنه لا يمكن ضمها إلى قسم واحد وذلك راجع لسببين حسب سيرل:

« أحدهما أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهات فهو المخاطب . والثاني أنّ المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه ».[2]

واعتماداً على هذه المبادئ التي أرساها سيرل لهذا النوع من الأفعال الإنجازية، سنحاول استخراج أهم النماذج المتضمنة في هذا النوع، حيث وقعنا على صنفين من الالتزاميات في قول (ابن زيدون) في الرسالة :

« حَلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراءَ الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمانٍ تكفَّلت به الثقة عنك، وعهد أخده حسن الظن عليك ».[3]

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 79.

[2]- المرجع نفسه، ص: 79.

[3]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 697.

فمن خلال البيت الأول كان (ابن زيدون) يريد أن يقول لسيده: إنني قد أقسمت، وقطعت وعداً على نفسي بأن لا أدع لك مجالاً للشك في براءتي وليس ثمة حَكَمٌ نحتكم إليه بعد الله. [1]

لنلاحظ أنّ (ابن زيدون) استعمل فعلين هما: (حلفت) وهو فعل للقسم والفعل الثاني (فلم أترك) الذي يدل على الوعد، ومن اجتماع هذين الفعلين يتبين لنا أن فعل القسم مع فعل الوعد سوف تكون نسبة انجاز الفعل مؤكدة من طرف المتكلم.

ففي هذا المقطع نجد أنه قد وعد نفسه على ألاّ يترك لسيّده شك في براءته وأكّد ذلك بحلفه.

وتداولية استعمال هذين الفعلين هي أنّ المتكلم سوف يكون ملتزماً بوعده ومحافظاً على يمينه.

وكان مرجع هذين الفعلين هو المتكلم، والمتكلم في هذه لرسالة هو (ابن زيدون) والالتزاميات يكون المرجع فيها دائمًا هو المتكلم.

فالفعل الإنجازي في الفعل الأول (حلفت) هو القسم ، وفي الفعل الثاني (لم أترك) هو الوعد.

والغرض الإنجازي لهذين الفعلين في هذا البيت هو التزام (ابن زيدون) بقسمه ووعده وسوف يكون وفياً بهما في المستقبل؛ أي موفياً بوعده وقسمه؛ لأن في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع وإنما يلزم نفسه بفعل شيء في المستقبل.

و(ابن زيدون) يريد فِعْلاً إنجاز هذا الوعد بل هو مصر على ذلك؛ لأنه أقسم على ذلك ومنه فإن شرط الصدق قد تحقق وسوف يتحقق المقصد أيضا من هذه الأفعال؛ لأن مقصدية استعمال هذه الأفعال هو الوفاء بهذا الوعد والقسم وذلك بإزالة شك (ابن جهور) في خطئه والتأكد من براءته.

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 697.

والمحتوى القضوي في هذا لمقطع هو وفاء (ابن زيدون) بهذا العهد وعدم ترك؛ أي ريب (لابن جهور) في براءته، واتجاه المطابقة في كل من هذا القسم والوعد تكون من العالم إلى الكلمات؛ لأنها أفعال سيتم فعلها في المستقبل.

والغرض التأثيري الموجود في هذا المقطع هو توبة (ابن زيدون) من ذنبه وتأكده من أنّ (ابن جهور) لن يعفو عنه، إلاّ إذا أعلن توبته وبين براءته، لذلك فهو يلزم نفسه بإثبات ذلك، والفعل الذي يصّر على فعله هو وفائه لقسمه ووعده بأن يبين (لابن جهور) أنه بريء ويكلف نفسه بتبيان ذلك لاحقًا.

وفي المقطع الذي يليه يباشر (ابن زيدون) إقناع سيّده بأنه بريء، كأنه أراد أن يقول: والله ما غششت وضللتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الميل إليك، ولا عاديتك، ولا مِلْتُ إلى قوم غير قومك ولا دخلت في أمر أي قوم آخر غير قومك وأنني تثبتت عزمي عليك.

وهنا نلاحظ أن (ابن زيدون) يتبرأ من الذنوب التي يتوهم وقوعها وأنه رغم براءته منها فهو لم ييأس من سيده لحسن ظنه فيه، فهو يرى بوجوب الرحمة له والعطف عليه.

واستعمل (ابن زيدون) مجموعة من الأفعال التي لم يفعلها وهي (غششت، انحرفت، نصبت، أزمعت) وهي أفعال أقسم على أنه لم يفعلها؛ لأنه كان مخلصًا لسيّده يحسن الظن فيه دائماً.

والمرجع في هذه الأفعال يعود على المتكلم وهو (ابن زيدون).

الفعل الإنجازي هو إلزام (ابن زيدون) نفسه بعدم الغش بعد النصيحة والانحراف بعد الانتماء إلى ابن جهور ولا المعاداة ولا الميل إلى أقوام آخرين والدخول في أمرهم، وأنه دائماً يحسن الظن بسيّده وفياً له متوقعاً منه الخير كله.

وشرط الإخلاص متحقق في هذا المقطع؛ لأن (ابن زيدون) يقسم أنه لم يقم بأي فعل من هذه الأفعال وهو ينفي فعلها.

والمحتوى القضوي في هذا المقطع هو قسم (ابن زيدون) على عدم القيام بهذه الأفعال الدنيّة، ولن يقوم بفعلها مهما حدث له في المستقبل، فرغم أنه لم يفعلها إلاّ أنّ الوشاة قد أوهموا(ابن جهور)بأنه فعلها.

اتجاه المطابقة في هذا القسم من العالم إلى الكلمات؛ لأن القسم ينتمي إلى صنف الالتزاميات ومقصدية هذه الأفعال هي قسم (ابن زيدون) على نفسه بعد فعل هذه الأفعال مهما كان؛ لأنه وفيّ لصديقه وملكه وسيبقى له وفياً وأنه يحسن الظن فيه.

الغرض التأثيري في هذا المقطع، هو توهم (ابن زيدون) أنه قام بهذه الذنوب ويحس أنها سبب سجنه من طرف صديقه.

والفعل الذي يتوقع فعله أنه سوف يتبرأ من هذه الذنوب؛ لأنه لم يفعلها وأنه تائب على ما وقع منه من خطأ صغير أو كبير فهو عفوي غير مقصود وأنه في المستقبل لن تقع منه أي زلة في ارتكاب أي ذنب.

ويعود (ابن زيدون) ليستعمل صنفا من الالتزاميات؛ وهو القسم أيضا في قوله: « ولعمرك ما جهلت أن صريح الرأي أن أتحول إذا بلغتني الشمس ونبا بي المنزل وأصفح عن الطامع التي تقطع أعناق الرجال فلا أستوطئ العجز ولا أطمئن إلى الغرور ».[1]

وهنا يقسم (ابن زيدون) بحياة سيّده الغالية عليه، ويقرر له بأن رأيه هو الصواب والرأي السديد، و أنه لما أراد مخالفته حلّت عليه المصائب من كل جهة؛ لأن طمعه قادهُ إلى الهلاك.

ونلاحظ في هذا المقطع أنّ (ابن زيدون) قد استعمل أربعة أفعال مضارعة تدل على المستقبل؛ وهي الأفعال التي سيلتزم بها (ابن زيدون) بعد قسمه على ذلك وهذه الأفعال هي: (أتحول، أصفح، أستوطئ، أطمئن).

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 703، 704.

وتداولية استعمال هذه الأفعال هو أنّ (ابن زيدون) أقسم بحياة سيّده بأنه سيلتزمُ بهذه الأفعال في المستقبل ولذلك استعمل هذه الأفعال التي تدل على المستقبل.

ومرجع هذه الأفعال هو (ابن زيدون) (المتكلم).

الفعل الإنجازي في هذه الأفعال هو القسم، والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو التزام (ابن زيدون) بعهده ولا يتحول عن أمر سيّده، وأنه لن يكون طماعًا حتى لا يقودهُ طمعهُ إلى الهلاك، وأنه سوف يكون صلباً حتى لا يتمكن منها العجز بسهولة، وأنه لن يطمئن للغرور، فهو قد أقسم على أن يكون وفياً لعهده مع نفسه؛ لأن أفعال الالتزاميات لا يحاول من خلالها المتكلم التأثير على السامع وإنما يلزم نفسه بفعل شيء في المستقبل مثلما قلنا سابقاً.

ولأن (ابن زيدون) أقسم بحياة سيّده بأنه سوف يلتزم بهذه الأفعال في المستقبل فشرط الصدق متحقق.

ومقصدية استعمال هذه الأفعال هو أن يكون (ابن زيدون) وفياً لقسمه، وذلك بألّا يتحول على أميره مرة أخرى في المستقبل، وأنه لن يكون طماعًا وأنه سوف يكون صلبًا وأن العجز لن يتمكن منه ثانية وأنه لن يطمئن لغروره.

المحتوى القضوي في هذا المقطع هو وفاء (ابن زيدون) بهذا العهد الذي قطعه على نفسه لتجنب العقاب مرة أخرى.

اتجاه المطابقة في هذا القسم هي من العالم إلى الكلمات؛ لأنها أفعال أقسم (ابن زيدون) على فعلها في المستقبل، وذلك تجنباً للنكبة التي حلّت به.

الغرض التأثيري في هذا المقطع هو أخد العبرة لدى (ابن زيدون)، من النكبة التي حلّت به والعزم على عدم تكرار مثل تلك الأخطاء حتى لا يكون الجزاء نفسه مع سيّده. والفعل الذي ينتظر فعله من (ابن زيدون) بعد هذا التأثير هو موافقة الأمير في كل ما يقول ويأمر وأن لا يكون مغروراً ولا طماعًا، ويجب أن يكون صلبًا حذراً من كل الوشاة الذين يحيطون به.

4- التعبيريات (expressives)

إنّ الغرض الإنجازي للتعبيريات هو « التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوفر فيه شرط الإخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار والتعزية والترحيب ».[1]

فمن خلال الآليات التي وضعها سيرل للتعبيريات، سنحاول استخراج الأفعال التي يعبر فيها (ابن زيدون) (المتكلم) عن موقفه النفسي في هذه الرسالة التي بعث بها معتذرا (لابن جهور) على ما وقع منه من تقصير.

ومن أمثلة أفعال التعبيريات التي وقعنا عليها في الرسالة ما نجده في قوله بعدما أهداه تلك القصيدة الميمية: « هاكها_ أعزك الله _ يبسطها الأمل ويقبضها الخجل، له ذنب التقصير، وحرمة الإخلاص؛ فهي ذنباً لحرمة واشفع نعمةً بنعمةٍ، ليأتي لك الإحسان من جهاته، وتسلك إلى الفضل طرقاته إن شاء الله تعالى ».[2]

وكأن (ابن زيدون) يريد أن يقول لسيّده معتذراً خذها _ أعزك الله_، ينفسح لها الأمل ويمدها ويطولها حسن الظن بك، ويقبضها الخجل؛ أي يجمعها ويضمها التقصير، فلها ذنب التقصير عن إيفائك حقك من الثناء ولكنها تمت إليك بحرمة الإخلاص لك، والتعلق بك، فأعفوا يا سيّدي عن ذنب التقصير الذي وقع مني إكراماً لحرمة الوفاء، ليأتي لك الإحسان من جهاته وتسلك إلى الفضل طرقاته.[3]

ففي هذا المقطع استعمل (ابن زيدون) عدة أفعال يعبر بها عن حالته النفسية وهي إحساسه بالذنب والتقصير مع سيّده وهذه الأفعال هي: « يبسط، يقبض، هب، اشفع، يتأتى، تسلك » وهي تعبر عن رغبته

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 80.

[2]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله،ص: 717.

[3]- ينظر: خليل بن أبيك الصفدي :تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون؛ ص: 397،398 .

في إرضاء سيده و إحساسه بالخجل من هذا الذنب، وعند طلبه هذا الاعتذار، ورغم ذلك فهو لم يفقد الأمل في عفو سيده فهو يعرف مقدار حكمته .

فتداولية استعمال هذه الأفعال المضارعة والأمرية هي التعبير عن اعتذار (ابن زيدون) لسيّده ورغبته في أن يرضى عنه، وهذا الاعتذار متضمن حالات نفسيّة معبرة عن صدق هذا الاعتذار، فنراه يقدم له قصيدة كهدية تساوي في قيمتها " العروس المجلوّة في أثوابها " وهي هدية ليطيب بها نفس سيده ويقبل اعتذاره، وكان يتملكه الشعور بذنب التقصير فكان جد خجول من ذلك، ولكن الأمل في سيّده لا يزال متوهجًا في نفسه محافظاً على حرمة الإخلاص التي كانت تجمعهما طويلاً.

فالفعل الإنجازي في أفعال هذا المقطع هو الاعتذار.

والغرض الإنجازي لها هو: التعبير عن الشعور بذنب التقصير مع سيّده؛ وأنه كان ينتابه الخجل عندما كان يطلب اعتذاره، ولكنه يأمل شفاعته؛ لأنه صديقه المخلص الوفي.

نلاحظ من سياق المقطع، ومن دلالة الأفعال التي استعملها، أن شرط الإخلاص قد تحقق وأنّ (ابن زيدون) تائب عن ذنبه معترف بتقصيره مع سيّده فالخجل يسيطر عليه عندما كان يطلب شفاعة سيّده إكراماً لحرمة الوفاء والإخلاص التي جمعتهما طويلاً.

ومقصدية هذه الأفعال هي تعبير (ابن زيدون) عن مدى ندمه في التقصير مع سيّده وأنه تائب على كل ما حدث منه وأنه يطلب اعتذاره منه، وينتظر منه العفو ويأمله؛ لأنه يرى أن(ابن جهور)أهل للسّماحة وسوف يشفع له عن هذا التقصير.

ويوجد اتجاه المطابقة في أفعال التعبيريات فالمتكلم فيها لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات.

والغرض التاثيري في هذا المقطع: هو تعبير (ابن زيدون) على ندمه الشديد لذنب التقصير في إيفاء حق أميره وأنه ينتابه الخجل من شدة التأثر بعظمة هذا الذنب الذي اقترفه مع سيده وأنه يعتذر من سيده ويطلب شفاعته والعفو عن ذنب التقصير معه.

5- الإعلانيات (déclarations)

تتميز أفعال هذا الصنف بسمة خاصة وهي « أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي فإذا أدّيت أن فعل تعيينك رئيسا للوفد أداءً ناجحًا فأنت رئيس للوفد وإذا أدّيت فعل أداء الحرب أداءً ناجحًا، فالحرب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييراً في الوضع القائم، فضلاً عن أنها تقتضي عرفًا غير لغوي، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص. [1]

من خلال الآليات التي أرسى معالمها سيرل للإعلانيات، حاولنا استخراج الأفعال التي تؤدي هذه الوظيفة الإعلانية لكننا لم نقع عليها في الرسالة الجدية.

ثالثا: تطبيق آليات الحجاج في الرسالة الجدية

من خلال ما عرضناه في الفصل الأول عن الحجاج توصلنا إلى أنّ الهدف الأول من الحجاج هو التأثير في العقول لإقناعها، والوصول إلى القلوب لإمتاعها، فالتأثير فكرة « تستوعب مفهوم الإقناع باعتباره شحنة منطقية يحاول بها المخاطب حمل مخاطبه على التسليم الوضعي بمدلول رسالته، ثم إنها تشمل معنى (الإمتاع) باعتباره سعيا حثيثا نحو جعل الكلام قناة تَعبُر المواصفات الطبيعية ». [2]

[1]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 80.

[2]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا_ تونس، الطبعة 03، ص: 80، 81.

وسنحاول تطبيق آليات الحجاج في الرسالة الجدية، حيث سنقوم بدراسة الأساليب الإنشائية واستعمالها حجاجيا (النداء، الاستفهام، التعجب، الالتماس، القسم والتمني) مع التمثيل من الرسالة. ثم نحاول استخراج الحجاج الإمتاعي من الرسالة (استعارة، كناية، تشبيه). ثم نحاول استخراج أهم الحجج المستعملة في الرسالة (المثَل التاريخية).

وبداية سنحاول استخراج المحتوى الحجاجي للرسالة:

1- المحتوى الحجاجي للرسالة الجدية (القصدية):

الرسالة الجدية هي الرسالة التي بعث بها (ابن زيدون) (لابن جهور) متوسلاً مستعطفاً إياه، وكان القصد منها هو إقناع(ابن جهور)في فخ الاستعطاف وإثارة الشفقة والرحمة ليعفو عليه ، ويخرجه من السجن وتخليصه من عذابه ويحاول إقناعه ببراءته، وأنّ(ابن جهور)قد أخطأ كثيرًا في حقه وأنه ظلمه، وأنه حرم نفسه من شعره وبراعة أدبه في خدمة إمارته.

2- الأساليب الإنشائية واستعمالها حجاجيا في الرسالة الجدية:

2-1- النداء: في مثل قوله: « يا مولاي وسيّدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي به، وامتدادي منه ».[1]

ف (ابن زيدون) استعمل النداء حجاجياً والذي عُطِف بكلمة (وسيّدي)، فهذا النداء ليس الغرض منه لفت الانتباه وإنما أريد به نوال شفقة ابن جهور؛ فهو يناديه مستغيثا؛ لأنه سيّده ومولاه، فهو يحسسه بأن الراعي يجب أن يكون مسؤولاً عن رعيته.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 680.

كما استعمل النداء في قوله أيضا:

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقُهُمْ وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمْ[1]

ففي هذا البيت كان استعماله للنداء حجاجيًا؛ لأن هذا النداء لا يريد منه (ابن زيدون) لفت انتباه سيّده وإنما كان لمخاطبة عواطفه، لأنه يحس بالعدم والسقم بعد مفارقته ولم يعد يقوى على البقاء بعيداً عليه، لأنه يَحنُ إلى سيّده فكيف يقوى أميره على مفارقته بهذه السهولة بعد أن كان أخلان؛ أي أن المراد الخفي من هذا النداء هو طلب الاستغاثة من سيّده ليعفو عليه، ويسترجع معه تلك الأيام التي كانا فيها مثل الجسد الواحد.

2-2- الاستفهام:

ونجده في مثل قوله: « ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك؟ والجهل الذي لم يأت من ورائه حِلْمُك؟ والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك؟ والتّحامل الذي لم يف به احتمالك؟ ولا أخلوا من أن أكون بريئًا فأين العدل؟ أو مسيئًا فأين الفضل؟ ».[2]

فالاستفهام في هذا المقطع استعمل حجاجياً؛ فالغرض من وراء هذا الاستفهام أن (ابن زيدون) لا ينتظر جوابًا لهذه الأسئلة، وإنما بغرض التأثير في(ابن جهور)وإقناعه بأن سيّد القوم يجب أن يكون متسامحًا حليما على رعيته؛ لأن منزلته رفيعة.

وأنّ (ابن جهور) لما يقوم بقراءة هذه التساؤلات يحس بأنه ليس أهلاً للعفو إن لم يعف على سفيره القديم وأنه ليس أهلاً للحِلْمِ؛ لأنه لم يعف على جهله، وأنه لا يتصف بصفات الملوك؛ لأنه يتكلف في أمر إخراجه من السّجن وهو أمر هيّن عليه بالنسبة لمقامه.

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 711.

[2]- المصدر نفسه، ص: 687.

وما نلاحظه في هذه التساؤلات أنها ستؤثر فعلاً على (ابن جهور) خاصة عندما يقرؤها، فيحس بذلك العجز والضعف والجهل مما يؤدي به إلى إثبات غير ذلك بالعفو على (ابن زيدون).

2-3- التعجب:

ونجد التعجب في مثل قوله:

"إلا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك !! قد بلغ السيل الزبى، ونالني ما حسبي به !! وكفى !! وما أراني إلاّ لو أني أُمِرتُ بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ".[1]

فالغرض من التعجب هنا هو التأثير في(ابن جهور)و محاولة إقناعه؛ أنّ سيّد القوم يجب أن يكون واسع الفضل والعدل، ولكن رغم براءة (ابن زيدون) إلاّ أنّ سيّده ظلمه وأدخله السجن، لذلك وجب عليه أن يراجع نفسه وأن يكون عادلاً في حكمه وذلك بإخراجه من الّسجن، وأنني إن كنت مذنبًا يا سيّدي فأنا اعتذرت منك وطلبت رحمتك، وأني قد أصابني ما فيه الكفاية من الآلام، أي أن عقابك لي على هذا الذنب قد استوفى حقه بل تجاوز حده فهو متعجب لكلا الأمرين.

ومنه فإن (ابن زيدون) استعمل أسلوب التعجب ليقنع سيده بأنه قد ظلم رعيته الذي كان بريء، فإن (ابن زيدون) استعمل أسلوب التعجب ليقنع سيده بأنه قد ظلم رعيته الذي كان بريء بهذا العقاب الأليم، وأنه إن كان مسيئًا فقد تجاوز عقابه الحد، وإن كان بريئًا فيجب أن يكف عن تعذيب بريء وإطلاق سراحه.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 687، 688.

2-4- الالتماس:

ونجده في مثل قوله « هَاكَهَا_ أَعَزَّكَ اللهُ_ يَبْسُطُهَا الأَملُ، وَيْقِيضُهَا الخَجَلُ، لَهَا ذَنْبُ التّقصِير، وحُرْمَةُ الإِخْلاَصِ فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةٍ، وَ اشْفَعْ نِعْمةً بِنِعْمَةٍ، لَيَتَأَتَى لَكَ الإِحْسَانْ مِنْ جِهَاتِه، و تَسْلُك إِلَى الفَضْلِ طُرُقَاتِه »[1]

استعمل (ابن زيدون) فعلا أمر هما: (هب، اشفع)؛ وكان غرضه من استعمال هذين الفعلين ليس للأمر وإنما للالتماس فبعدما مهد له بالهدية، ثم أكد له على أن أمله مازال قائما فيه وسيظل ليعفو عليه، ثم بين له أنه جد نادم على ذنبه وعلى تقصيره فيعتذر على ذلك ليخلص إلى الالتماس، وهو الهدف من كل هذه الحجج المنظمة وذلك ليلتمس شفاعة سيده بالعفو على ذنب تقصيره إكرامًا لحرمة الوفاء.

2-5-القسم:

في مثل قوله :« حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ».[2]

وكان الغرض الحجاجي من استعمال القسم في هذا المقطع إنما كان لِيتيقن(ابن جهور)من براءة سفيره القديم، واستعمل القسم لكي لا يترك له مجالاً للشك فيما سيقوله من حجج، للتبرأ من هذا الذنب ويتخلص من هذا العقاب الذي طال أمده، فإذا استيقن(ابن جهور)أن صديقه القديم لم يغششه بعد النصيحة _ كما قيل له_ وأنه لم ينحرف عنه بعد الميل إليه، وأنه كان دائما يثبت عزمه على سيده؛ لأنه كان يحسن الظن فيه دائما فإنه سوف يعفو عليه من هذا العذاب الأليم.

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص: 717.

[2]- المصدر نفسه، ص: 697.

2-6 – التمني:

ونجده في قوله: « لعلي ألقيِ بذراك، وتستقر بي النوى في ظلك، فتستلذَّ جنى شكري من غرس عارفتك، وتستطيب عرف ثنائي من روض صنيعتك، وأستأنف التأدّب بأدبك، والاحتمال على مذهبك، فلا أوجد للمحاسد مجال لحظة، ولا ادع للقادح مساغ لفظة ».[1]

فالغرض الحجاجي من هذا التمني هو ترغيب(ابن جهور)في إعادة (ابن زيدون) إلى سفارته؛ لأنه يتمنى الرجوع إلى منصبه، وأنه مازال متحمسا لأداء وظائفه بكل احترافية، فإذا استقر في ظله فسيجني من شكره ما غرسته نعماؤه ويَستطيب من ثنائه، وأنه سوف يتخلق بأخلاقه ويقتدي بآدابه والسير على منهجه ومذهبه.

3- أهم الحجج المستعملة في الرسالة:

3-1- حجة المثل:

والهدف من اعتماد المثل في الحجاج « هو التأسيس للقاعدة والبرهنة على صحتها ».[2]

وفي هذه الرسالة قد أكثر (ابن زيدون) من استعمال الأمثال والحكم، وكان غرضه منها هو التأسيس لبراءته والبرهنة (لابن جهور) على صحتها وإقناعه بذلك ونضرب لذلك مثلاً من الأمثال التي استعملها ما نجده في قوله: « قد بلغ السيل الزبى»[3]، والغرض الحجاجي من استعماله لهذا المثل أن يبين (لابن جهور) أن عقابه قد تجاوز الحد وقد حان وقت إخراجه من السّجن، فهذا المثل يستعمل إذا زاد الشيء عن حده، فابن جهور قد غالى في تعذيب صديقه القديم وأنه وإن كان مسيء فقد ناله ما فيه كفاية من آلام وعذاب السّجن، وإن لم يكن مذنباً فهو ظالم له وفي كلتا الحالتين وجب على(ابن جهور)إخراج (ابن زيدون) من السّجن.

---

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 713، 714.

[2]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص: 49.

[3]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 688.

3-2- الحجّة التاريخية:

وفيها « يعمد المتكلم إلى حدث تاريخي أو ظاهرة، ليقنع المتلقي بصحة دعواه وتكون هذه الحجة رابطة للنتيجة»[1]

وقد وجدنا أنّ (ابن زيدون) استعمل مجموعة من الأحداث التاريخية التي ارتكب فيها أعظم الذنوب والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، ونجد ذلك في قوله: « وما أراني إلاَّ لو أنّي أُمرت بالسجودِ لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، وأمرت ببناء الصرح لعلي أطلع إلى إله موسى، وعكفت على العجل، واعتديت في السبت، وتعاطيت فعقرت، وشربت من ماء النهر الذي ابتلى به جنود طالوت، وقدت الفيل لأبرهة، وعاهدت قريشا على ما في الصحيفة، وتأولت في بيعة العقبة ونفرت إلى العير ببدْر وانخذلت بثلث الناس يوم أحد، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريضة، وجئْتُ بالإفك على عائشة الصديقة، وأنفت من إمارة أسامة، وزعمت أن بيعة أبي بكر كانت فلته، وروّيت رمحي من كتيبة خالد، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله فيه، وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجودية (....) وكتبت إلى عمر بن سعد: أن جعجع بالحسين، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة (...) ورجمت الكعبة وصليت العائد بها على الثنية لكان فيما جري عليّ ما يحتمل أن يسمى نكالاً ويدعى ولو على المجاز عقابًا ».[2]

نستنتج من كل هذه الوقائع التاريخية والإسلامية التي وظفها (ابن زيدون) ليبين (لابن جهور) أنه لو فعل هذه الذنوب جميعاً لكان ما وقع عليه من العقاب كافيا، بل كان فوق ما يستحق من جزاء فأصبح تنكيلا وأن حسبه من العقاب ما أثار رحمة الأعداء قبل الأولياء.

[1]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 86.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 688 إلى 695.

4- الحجاج الامتاعي:

يمكن الإشارة إلى أن « الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة)، بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج ؛ ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية لإفادة أبعاد تداولية ».[1]

ففي الأعمال الأدبية (شعر/ نثر) دائما نقف على تراكيب ومعاني مجازية تقع على نفس المتلقي وقعاً حسنا إذ تجعله يقتنع، وهكذا يضمن المتكلم تحقيقا لمقصده وغايته، باستعمال ضروب المجاز أو بعدوله عن الحقيقة بما يساهم في نجاح العملية الحجاجية والإقناعية، ومنه تحقيق إمكانية المجاز في الحجاج من جهة التدعيم، والتثبيت، التي تنبثق من المجاز إلى الحجاج على شكل طاقة تزيد في إقناع واستمالة المتلقي[2]، ومن المجاز الحجاجي نذكر:

أ- الاستعارة:

يولي جون سيرل التمييز بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم (قصده) أهمية كبيرة في دراسة المنطوق الاستعاري «فإن مشكلة الاستعارة عنده هي جزء من مشكلة لغوية عامة؛ هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة أو بعبارة أخرى: كيف نقول شيء ونعني شيء آخر».[3]

فنلاحظ أنه فرّق بين معنى المتكلم ومعنى الجملة في عرضه للاستعارة من منظور التّداولية؛ لأن المتكلم قد يقول كلامًا ويريد به شيء آخر.

---

[1]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص: 50.

[2]- ينظر: عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 283.

[3]- أحمد صبرة: التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية، دار الصديقان للنشر والإعلان، الإسكندرية، 1988، ص: 65.

والاستعارة من أحسن التبليغ، وهذا للطاقة الحجاجية التي توفرها للمتكلم ليقنع المتلقي بتركيب استعاري حجاجي ومنه نشير إلى "جمالية الإرسال من أجل التأثير في المتلقي وأسر انتباهه، فيتلذذ باستقبال الرسالة الكلامية المبثوثة إليه في أحسن صورة".[1]

ولذلك وجدنا أن (ابن زيدون) قد أكثر من استعمال الاستعارة، سنذكر أمثلة منها وسنحاول تحليل تداوليتها وحجاجيتها:

ومن أمثلتها ما ذكره في قوله: "من أبقاه الله ماضي في العزم، واري زند الأمل، ثابت عهد النعمة ".[2]

فهذه الجمل واقعة موقع الحال (لابن جهور)، وهي ثلاث إستعارات وهي: المضاء لحد العزم، كأنه لا يعزم على شيء إلاّ أمْعنَهُ أمضاه ونفّذ فيه حدُّه، وواري زند الأمل كأنه لا يُؤْمل شيئًا إلاّ وهو يرى نوره، وثابتة عهد النعمة؛ أي لا تغيره ذمة نعمة، بل هي محفوظة أبداً عليه.

فحجاجية استعمال هذه الاستعارات هو الإشادة بقوة سيّده، حيث أنه لا يعزم على شيء إلاّ أمْضَاهُ ونفذّ فيه حكمه؛ أي أنه قادر على أن يخرجه من السّجن، وأنه لا يُؤْمِل شيئًا إلاّ وهو يرى نوره؛ ونور (ابن زيدون) هو جمعه لبراعة الأدب وغنى النّفس، وأنه من الصنف الناذر وسيّده يعلم بذلك، لأنه كان سفيره وصديقه الحميم وأنه لا تغير له ذمة نعمة؛ فهو يعلم أنه إذا أخرجه من السّجن فهو لن يقبل عنه أبداً، ومنه ف(ابن زيدون) استعمل هذه الاستعارة الحجاجية في توجيه(ابن جهور)لإطلاق سراحه والاستفادة من خدماته، فالمعنى الخفي لهذه الاستعارة هي توجيه(ابن جهور)ليخرجه من السجن؛ لأنه يملك السلطة في ذلك، وأنه سيستفيد من نور شعره وأدبه البارع ليحفظ به ذمة نعمته أبداً.

[1]- عبد الملك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة، متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها، مجلة جذور، الجزء 28، مج 11، رجب 1430، يوليو 2009 ص: 226، 227.

[2]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 680، 681 .

واستعمل استعارة أخرى في قوله: "وغضضت عني طرف حمايتك".[1]

ومعنى هذا أن(ابن جهور)تركه عرضةً لصائبات الحوادث؛ وقد استعار الطرف للحماية لما كان الذي يحميه ويقيه، كأنه ناظر إليه ليحفظه من كل مكروه يحيط به ولكنه كفَّ عن ذلك وتركه، فـ (ابن زيدون) أخد يعدد على (ابن جهور) ما عامله به من الجفوة، ولا شك أن حجاجية تعداد الظلمات أبلغ وأجلب للرحمة وأدل على التوجع وهي الغاية المجازية، والمعنى الخفي من هذه الاستعارة؛ أنه يستدرجه بها ليوقعه في فخ الاستعطاف ومنه نوال رحمة سيّده.

ونذكر مثال لاستعارة أخرى في قوله: "وعهد أخده حسن الظن عليك".[2]

والعهد هنا الأمان [3]، فهنا استعار الأخد لحسن الظن عليه؛ كأنه تناول حسن ظنه فيه وأخذ عليه، واقتطعه منه وصار عنده في قبضته؛ ف(ابن زيدون) لما أراد أن يتبرأ من عند(ابن جهور)من الذنوب فقال له: ما غششتك ولا انحرفت عنك، ولا نصبت لك ولا أزمعت يأساً منك مع ثقتي بك وحسن الظن فيك، وبذلك تبرأ من كل الذنوب التي يتوهم وقوعها لأنه بريء ويحسن الظن في سيّده ولم ييأس منه، فيورد هذه الاستعارة التي يقرر فيها وجوب الرحمة له، والعاطفة عليه أي أن حجاجية هذه الاستعارة هي توجيه(ابن جهور)للتصديق بأن سفيره القديم بريء وأنه أهل للرحمة فهو بريء ويتعذب بسببه فيعطف عليه ويخرجه من السّجن.

وقال في استعارة أخرى يثني على القصائد الجميلة التي قالها فيه: "واستملى الربيع إلاّ ثناءً ملأته من محاسنك".[4]

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 681.
[2]- المصدر نفسه، ص: 697.
[3]- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص: 264.
[4]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 701.

وهنا أتى (ابن زيدون) بالجناس في قوله (ملأته واستملى) وهو جناس اشتقاق على قول استعار الإستملاء للربيع والمحل للمحاسن فأحسن في كل ذلك، وحجاجية استعمال هذه الاستعارة هو تذكير(ابن جهور)بالفضل الذي لا يستطيع جحده والمتمثل في هذه القصائد الجميلة وقد عبر عن درجة جمالها بهذه الاستعارة الرائعة، حيث أن الربيع هو من يأخذ من قصائده ليزين بها، وكان هدفها الحجاجي هو إحداث تغيير في(ابن جهور)وتوجيه فكره إلى العفو على هذا الشاعر الذي قال فيه أغر قصائد والانتفاع بخدماته وذلك بالتأثير على عاطفته بهذه الاستعارة.

ب– الكناية:

إنّ الكناية من أنواع المجاز الحجاجية فهي احتجاج لقضية عن طريق الرمز، ومراد المتكلم منه هو «المراد بالكناية ها هنا، أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه ».[1]

فالكناية ليست مجرد استخدام ألفاظ في الكلام وترميز، بل هي أداة ووسيلة من الوسائل الحجاجية في الخطاب.

ومن أمثلة الكناية التي وقعنا عليها في هذه الرسالة قوله: «بل وجدت آجراً وجيصًا فبنيت».[2]

وهذه كناية مفادها أنّ (ابن زيدون) لم يخلع عليه من الثناء ما ليس فيه، وأنه وجد أساسًا يبني عليه قصائده فبنى، ووجد مكان القول فيه واسعًا فقال؛فاستعملت هذه الكناية حجاجيا في مدح(ابن جهور)بأنه قد وفّر له كل الظروف الملائمة ليؤدي عمله على أكمل وجه؛ " فوجدت أجراً وجيصًا " تعود على الصفات التي يتسم بها (ابن جهور)وأنها كانت بمثابة لأساس الذي يبنى عليه، وقوله " فبنيت " يقصد بذلك قصائد المدح التي قالها فيه فكانت بمثابة القصر الذي يبنى بالآجر الوجيص فكانت غرَّ قصائد له بقيت خالدة له في التاريخ، وكان الهدف

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 66.

[2]– ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 702.

الحجاجي من هذه الكناية ترغيب (ابن جهور) في إعادة سفيره القديم إلى منصبه المعتاد ليكمل ما قد بدأه من قصائد مدحٍ والتي لن يجد أحد يخلفه في ذلك.

كما استعمل كناية أخرى في الرسالة عند قوله: "وعلى ما رضيت من المركب بالتعليق".[1]

وهي كناية عن صفة القناعة ومفادها أن (ابن زيدون) يرضى بالقليل اليسير من سيّده فهو لا يطمع أن يسترجع منصبه القديم، ولا يطمع في الصول إلى الحُكم، بل يطمع في حريته فقط وإطلاق سراحه وفك أسره من عذاب السّجن الأليم؛ فلذلك نجده يقول " رضيت من المركب " والمركب المقصود هنا هو المنصب القديم، وقوله " بالتعليق "؛ أي أنه قنوع يرضى بالشيء اليسير فلا يطمع في مركب مريح، وإنما اكتفى من الركوب يتعلق أمتعته على الدابة؛ أي اقتنع من عظيم الأمر باليسير، وحجاجية هذه الكناية هي للتأثير في سيّده وتلبية طلبه الهيّن مقارنة بمقامه فهو يرضى بأن ينال حريته ولا يطمع في أن يستعيد منصبه القديم أو التطلع إلى الحكم أو القيام بالأمور التي قيلت له من طرف الوشاة.

جـ- التشبيه:

والتشبيه هو"عقد مقارنة بين شيئين، وبيان أن شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأدوات هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة "[2] ؛ أي مقدرة.

ويقوم التشبيه "بوظيفة حجاجية حين نكشف عن غرضه، وهو تقريب صورة الموصوف إلى ذهن المتلقي ".[3]

وقد أورد (ابن زيدون) في حجاجه تشبيها عندما قال: "وهذه النكبة سحابة صيف عن قريب تَقَشَّعُ "[4] حيث شبه النكبة التي مرت به وإزاحته من منصبه ثم إدخاله إلى السّجن من طرف(ابن جهور)ومعاناته داخل هذا السّجن بسحابة الصيف التي لا تدوم طويلاً وهو شيء مؤكد مفصّل ثم من خلاله حذف أداة التشبيه، وذكر المشبه

[1]- ابن زيدون ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 698.
[2]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 20.
[3]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 291.
[4]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 684.

وهي النكبة التي مر بها، وذكر المشبه به أيضا وهي سحابة الصيف، ووجه الشبه بينهما حسبما ذكره هو عدم دوام الإثنين معًا، وزوالهما بعد فترة قصيرة، إذ من خصائص سحابة الصيف أنها تأتي خلسة فتكشف عن حدث قادم لكن سرعان ما تزول دون إحداث هذا الأمر وهذا ما دفع (ابن زيدون) لتشبيه محنته بهذه السحابة إذ يكشف عن شيء مخفي ضمن هذا التشبيه يتمنى من خلاله زوال محنته وعدم دوامها أكثر؛ لأنه لم يفقد الأمل في سيده يومًا.

كما أورد في حججه تشبيها آخر عند قوله: "وأكون كالذّبالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق ".[1]

فهنا شبه (ابن زيدون) نفسه بالشمعة المنصوبة التي تضيء للناس وهي تفنى وتذبل، فذكر كل أركان التشبيه إذ المشبه هو (ابن زيدون) والمشبه به هي الذبالة والأداة هي الكاف أما وجه الشبه فكل منهما يضيء للناس وهو يحترق؛ إذ أن (ابن زيدون) شقا وكدح في خدمة سيده(ابن جهور)في مدحه والثناء عليه ولم يجن من وراء ذلك شيئًا فكان جزائه مثل جزاء الشمعة تضيء للناس مثلما أضاء (ابن زيدون) بشعره درب سيّده وهي تحترق فكان مثلها فهو لم يجن من وراء ثناءه إلاّ الشر وذلك بأن أُدْخِل إلى السجن، وقد كان الغرض الحجاجي من وراء هذا التشبيه هو تحسيس(ابن جهور)أنه قَابَلَ خير (ابن زيدون) الذي لا يجحد بأشر عذاب، وذلك بأن سلط عليه عذاب السجن وشماتة الأعداء، والغرضُ من هذا هو مراجعة(ابن جهور)نفسه؛ بأن يجعل جزاء الإحسان الإحسان ويعامل (ابن زيدون) بمثل خيره وذلك بأن يعفو يعفو عنه ويخرجه من هذه النكبة.

كما أنه استعمل النظم في هذه الرسالة بغرض الاستشهاد بها كحجج ولغرض الامتاع أيضا فهذه الرسالة مازَجَ فيها (ابن زيدون) بين النثر والنظم فقدم النثر ثم ألحقه بقصيدته الميمية، لأن النفوس ترتاح إلى ذلك وأن البلاغة دائرة بين هذين النوعين وهما النثر والشّعر.

[1]- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 701، 702.

خلاصة الفصل:

كان الغرض من كتابة (ابن زيدون) هذه الرسالة هو استعطاف سيّده (ابن جهور) ليعفو عليه ويخرجه من السّجن؛ ولأنها رسالة استعمل فيها صاحبها العديد من الأفعال والأقوال الحكم والتواريخ البليغة مما سمح لنا بتطبيق آليات التّداولية عليها، حيث كان (ابن زيدون) في هذه الرسالة، إنما يقول شيئاً ويعني أشياء أخرى وهي أهم نقطة ترتكز عليها التّداولية، وأنّ العلاقة التي جمعتهما قديما و حديثا ((ابن زيدون) وابن جهور) قد فسحت لنا المجال أكثر للتلذذ بمتعة التطبيق.

- كما وجدنا أنّ (ابن زيدون) استعمل كل الإشاريات الزمانية، المكانية، الخطابية، الشخصية والاجتماعية فكانت ثرية بها.

- كما أن العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمتلقي في هذه الرسالة هي علاقة رسمية.

- كما أن (ابن زيدون) استعمل أساليب إنشائية واستعمالها حجاجيّا (نداء استفهام، تعجب، التماس، القسم التمني)، كما استعمل الحجاج المجازي (استعارة، تشبيه، كناية)، كما أكثر أيضا من استعمال حجة المثل وكانت غايته منها الإيقاع بـ (ابن جهور) في فخ الاستعطاف ومنه العفو على (ابن زيدون).

خاتمة

وأخيرا، وبعد هذا التطوف الشاق والجميل الذي أردناه أن يكون خالصا للعلم وللبحث العلمي، هانحن قد أشرفنا على نهاية هذا البحث بجملة من النتائج المستخلصة والتي نرى أن أهمها ما يلي:

1- أعادت التداولية الاعتبار للسياق و المقام للنصوص؛ فهي لا تعتمد على الكلام المنطوق فقط بل تعتمد على مقاصد المتكلم و غرضه من وراء كلامه.

2- أول من أدخل التداولية إلى اللسانيات بعدما كانت فلسفية، هو الفيلسوف فتغنشتاين بنظرية ألعاب اللغة وبعده طور أوستين الأفكار التي جاء بها فتغينشتاين، إلا أنه أقر بأنه لم يقتنع لما توصل إليه من نتائج أي أنها غير مكتملة، وأنها تحتاج إلى تقويم. فجاء بعده تلميذه سيرل والذي أكمل ما جاء به أستاذه، فوضع القوانين الصحيحة التي تحكم هذا الدرس اللساني الجديد.

3 - تحتوي التداولية على خمسة نظريات أساسية هي: نظرية أفعال الكلام، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والإشاريات، والحجاج .

4- يرى سيرل أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للإتصال اللغوي، وأن الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والإجتماعي، وأن الفعل القضوي عنده هو فعل مستقبلي موجه إلى السامع، كما أقام تصنيفه لأفعال الكلام على ثلاثة أسس: هي الغرض الإنجازي، شرط الإخلاص، واتجاه المطابقة هو أن يطابق السلوك لاحقاً ما تم التعبير عنه سابقاً، فالفعل الإنجازي مرتبط بمقصد المتكلم.

5- رأينا سبب كتابة الرسالتين (الهزلية والجدية) والظروف المحيطة بكاتبها، وهذا ماساعدنا كثيرا في الجانب التطبيقي؛ لأن التداولية تعتمد على الاستعمال فمن خلال هده الظروف المحيطة بكتابة الرسالتين.

6- رأينا أن نماذج الإشاريات قد توفرت في الرسالة وهذا ما جعل البحث التداولي يكتمل.

7- اخترنا في تطبيق أفعال الكلام المنهج الذي جاء به سيرل؛ لأنه منهج كامل.

8- رأينا أن أصناف الأفعال الكلامية قد توفرت مما سمح لنا بتطبيق آلياتها عليها.

9- استعمل ابن زيدون كل أنواع الحجج في الرسالتين فكان فنانا في ذلك إذ إنه متمكّن من فنون الأدب بارع فيها.

10-الأساليب البلاغية تؤدي وظيفة جمالية، كما تؤدي أيضا وظيفة إقناعية استدلالية.

11- معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لآداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية.

أولى سيرل أهمية كبيرة للمنطوق الاستعاري إذ فيها يميز بين المعنى الحرفي وقصد المتكلم (نقول شيئاً ونعني شيئا آخر).

12- من العوامل التي لها دور هام في اللسانيات التداولية ولا يتحقق نجاح الفعل اللغوي إلا بحضورها هي: المتكلم، والمستمع، والقصد، والسياق، والمقام، والزمان، والمكان، وكل الظروف المحيطة بالفعل،كما نجد للحجاج وظيفة إقناعية تستهدف السامع أو القارئ (المستقبل للرسالة) لإقناعه برأي معين ما أو وجهة نظر معينة أو دفعه لعمل شيء ما.

هذا، ولا ندعي لبحثنا التمام والكمال بل نحسبه محاولة متواضعة ضمن سلسة من المحاولات منها ما سبق ومنها ما سيلحق، وأكيد أنه سيكون أكثر جدية وصرامة، وعلمية ومنهجية حتى يكتمل التأصيل للتداولية وشأنها في التراث العربي واللغة العربية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع بطريق الأزرق

– القرآن الكريم وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري والمعجم المفهرس المواضيع آيات القرآن الكريم لمروان عطية قدم له وراجعه مروان السوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995.

أولا: الكتب باللغة العربية:

المصادر:

1- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي: المعجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، ط02.

2- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله' شرح وتحقيق علي عبد العظيم: مطبعة الرسالة، الفجالة، مصر (د – ط)، 1957.

3- أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ج1.

4- أبو القاسم جار الله بن عمر بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت د ط، ج2.

5- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط، د ت.

أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 2006.

6- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان المجلد:11، 1994.

7- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط05، 2005.

المراجع:

1- إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم: الصورة في الشعر العربي، مقال ونقد، الشركة العربية للنشر والتوزيع، الأردن 1996.

2- أبو الحسن اسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين مصر، د ط، د ت.

3- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1985.

4- أحمد المتوكل: الوظيفة الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2003.

5- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2001.

6- أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة الجنة للتأليف والترجمة والنشر، ط05، 1964.

7- أحمد صبرة: التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية، دار الصديقان للنشر والإعلان، الإسكندرية، 1988.

8- أن ريبول وجاك موشلر: التداولية اليوم، (علم جديد للتواصل)، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني دار الطليعة للطباعة والنشر ط1، 2003.

9- بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

10- بشير كحيل:الكناية البلاغية،مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2004

11- بيار أشار: سوسيولوجيا اللغة، تعريب: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1995.

12- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود: دار المعرفة بيروت_ لبنان، ط01، 1998.

13- جاك موشلر، آن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، تموز (يوليو)، 2003.

14- جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، حققه وشرحه عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

15- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.

16- جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.

17- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات والتداولية، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992.

18- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

19- خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط د ت.

20- رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2007.

21- رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومازن حنون، ط1، توبقال، الدار البيضاء، المغرب 1988.

22- الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصر)، دار الطليعة، بيروت، ط1 2005.

23- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الكريم الثاني للهجرة). بنايته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط01، 2001.

24- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة. (في المعاني والبيان والبديع)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع إعداد: محمد صدقي العطار، ط01، 2010.

25- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1 2008.

26- طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي: البلاغة العربية، (البيان والبديع لطلبة قسم اللغة العربي) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ط01، 1996.

27- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان والتكوين العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط01، 1998.

28- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1993.

29- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان ط2، 2000.

30- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي)، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، 2013.

31- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا_ تونس، الطبعة 03،1977.

32- عبد العزيز عتيق: البلاغة العربية، (علم المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت_ لبنان، 1984.

33- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن ، (من أهم خصائص الأسلوبية)، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس،2002.

34- عبد المالك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة. (متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها)، مجلة جذور، الجزء28 مج 11، رجب 1430، يوليو 2009.

35- عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في البلاغة عند ضياء الذين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية د ط، 1986.

36- عيد بلبع؛ التداولية البعد الثالث في سيميوثيقا موريس، مجلة فصول، عدد 66، ربيع 2005.

37- عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، ط1، 2002.

38- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، (البيان والمعني والبديع)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت_ لبنان، ط01، 208.

39- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، ط1، 1996.

40- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2003.

41- فرانسواز أرمينكو: مقاربة تداولية، ترجمة سعيد علوش: مركز الإنماء القومي، (د – ت).

42- فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبي؛ دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988.

43- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1988، عن هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو.

44- فيتغنشتاين: بحث في الفلسفة والمنطق، نقلا عن بيار آشار: سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1 1996.

45- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1 اللاديقية سوريا، 2007.

46- محمد العمري: البلاغة العربية وأصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996.

47- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند (بيرمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 28، ع يناير_ مارس 2000..

48- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، (اتجاهاته وخصائصه الفنّية)، دار الغرب الإسلامي، 1985.

49- محمود أحمد نحلة: الاتجاه التداولي المعاصر، إعداد وتقديم محمد مصطفى أبو شوارب، وآخرون، دار الوفاء لدنيا النشر الإسكندرية، ط1، 2004.

50- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.

51- ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002.

ثانيا: باللغة الأجنبية

1- crystal Savid the Cambridge encyclopedia of languaga Cambridge university, paress-1989.

2- le grand Robert : dictionnaire de la lange française T01, parise, 1989.

3- longmen : Dictionary of contemparay English, langman, 1980.

4- Michel(Mayer) logique, langage et argumetation, Edition, hachell Enuversite, 1982, 2eme, paris.

5- petit la rousse- libraire. La rousse paris Edition, 1980.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل: التداولية النشأة والتطور	
أولا: مفهوم التداولية.....	2
أ- المفهوم المعجمي.....	2
ب- المفهوم الاصطلاحي.....	5
ثانيا: نشأة التداولية وتطورها.....	8
ثالثا: علاقة التداولية بالمجالات الأخرى.....	16
1- علاقتها باللسانيات البنيوية.....	16
2- علاقتها بالنحو الوظيفي.....	18
3- علاقتها بعلم الدلالة.....	18
4- علاقتها باللسانيات الاجتماعية.....	21
5- علاقتها باللسانيات النفسية.....	22
6- علاقتها باللسانيات التعليمية.....	22
7- علاقتها باللسانيات النصية وتحليل	23
8- علاقة التداولية بالحجاج.....	24
8-1- وظائف الحجاج.....	26
8-2- أنواع الحجج.....	26
رابعا: مهام التداولية.....	28
خاتمة المدخل.....	30
الفصل الأول: تجليات الأبعاد التداولية في الرسالة الهزلية لابن زيدون الأندلسي	
أولا: الإشاريات في الرسالة الهزلية.....	32

1- سبب تأليف الرسالة.....	32
2- الإشاريات والتطبيق على آلياتها النظرية في الرسالة.....	34
2-1- الإشاريات الشخصية.....	35
2-2- الإشاريات الزمانية.....	39
2-3- الإشاريات المكانية.....	40
2-4- الإشاريات الخطابية.....	44
2-5- الإشاريات الاجتماعية.....	46
ثانيا: أفعال الكلام.....	48
I- الجانب النظري	48
1- أنواع الأفعال.....	49
أ- الأفعال الإخبارية.....	49
ب- الأفعال الأدائية.....	49
2- متضمنات القول	50
2-1- الفعل القولي.....	50
2-2- الفعل الإنجازي.....	50
2-3- الفعل التأثير.....	50
II- الجانب التطبيقي.....	57
1- مقاصد أفعال الكلام في الرسالة الهزلية.....	57
أ- الإخباريات.....	57
ب- التوجيهيات.....	59
ج- الالتزاميات.....	60
د- التعبيريات.....	61
هـ- الإعلانيات.....	61
ثالثا: الحجاج.....	64

I- الجانب النظري.....	64
1- الحجاج عند العرب.....	65
أ- الجاحظ.....	65
ب- أبو هلال العسكري.....	65
ج- أبن وهب.....	66
2- الحجاج عند الغرب.....	67
أ- الحجاج عند السفسطائيين.....	67
ب- الحجاج عند أفلاطون.....	68
3- مفهوم الحجاج.....	69
أ- لغة.....	69
ب- اصطلاحا.....	71
4- أصناف الحجاج.....	75
أ- الحجاج التوجيهي.....	75
ب- الحجاج التتقويمي.....	76
5 – تقنيات التصوير الفني.....	77
أ- التشبيه.....	77
أ-1- أقسام التشبيه.....	77
أ-2- أغراض التشبيه وبلاغته.....	78
ب- الاستعارة.....	78
ج- الكناية.....	79
ج-1- أقسام الكناية.....	79
ج-2- بلاغة الكناية.....	80
د- المجاز.....	80
د-1- أقسام المجاز.....	81

د-2- أنواع المجاز	81
د-3- بلاغة المجاز.....	81
II- الجانب التطبيقي.....	82
1- استخراج القضية المطروحة.....	82
2- الحجج والبراهين.....	83
التطبيق في الجداول.....	86
1- التشبيه.....	86
2- الاستعارة.....	87
3- الكناية.....	88
4- المجاز.....	91
خلاصة الفصل.....	93
الفصل الثاني: تجليات الأبعاد التداولية في الرسالة الجدية لابن زيدون الأندلسي	
سبب تأليف الرسالة.....	95
أولا: تطبيق آليات الإشاريات في الرسالة الجدية.....	96
1- الإشاريات الشخصية.....	96
2- الإشاريات الزمانية.....	101
3- الإشاريات المكانية.....	102
4- الإشاريات الخطابية.....	113
5- الإشاريات الاجتماعية.....	117
ثانيا: تطبيق آليات أفعال الكلام في الرسالة الجدية عند (سيرل).....	121
1- الإخباريات.....	123
2- التوجيهيات.....	128
3- الالتزاميات.....	137
4- التعبيريات	142

5- الإعلانيات.....	144
ثالثا: تطبيق آليات الحجاج في الرسالة الجدية.....	144
1- المحتوى الحجاجي في الرسالة (القصدية).....	145
2- الأساليب الإنشائية واستعمالها حجاجيا في الرسالة الجدية.....	145
2-1- النداء.....	145
2-2- الاستفهام.....	146
2-3- التعجب.....	147
2-4- الالتماس.....	148
2-5- القسم.....	148
2-6- التمني.....	149
3- أهم الحجج المستعملة في الرسالة.....	149
3-1- حجة المثل.....	149
3-2- الحجة التاريخية.....	150
4- الحجاج الإمتاع.....	151
أ- الاستعارة.....	151
ب- الكناية.....	154
ج- التشبيه.....	155
خلاصة الفصل.....	157
الخاتمة.....	158
قائمة المصادر والمراجع.....	161
قائمة الأشكال والجداول	

قائمة الأشكال والجداول

قائمة الجداول:

رقم الشكل	العنوان	الصفحة
1	يمثل العناصر الإشارية الخطابية ومواضع استعمالها	44
2	يمثل أفعال الكلام عند سيرل	62
3	يمثل حجاجية التشبيه في الرسالة	86
4	يمثل حجاجية الاستعارة في الرسالة	87
5	يمثل حجاجية الكناية في الرسالة	89
6	يمثل حجاجية المجاز في الرسالة	91
7	يمثل الأسس المنهجية التي اعتمدها سيرل في تقسيمه للأفعال الانجازية	122